

الأستاذ محسن قراءتي

أسرار الصلاة

خاص بالشباب

تأليف

الأستاذ محسن قراءتي

ترجمة

حسن الحلي



بسم الله الرحمن الرحيم

الصلاة عبادة عظيمة

انّ حبّ الإله وعبادته والتّصاغر أمامه والتواضع لعظمته هو ثمرة معرفته، والمعرفة هي أساس العبادة والعبودية، معرفة الله والإقرار بأنه خالق الكون والإنسان، تُشعر الإنسان بالعبوديَة لله والطاعة لأوامره، ويتجلى هذا الأمر بأروع صورة في الصلاة، وما فيها من سجود في الحضرة الإلهية ومناجاة ودعاء وحمد وشكر وثناء عليه سبحانه.

لماذا نعبدُ الله؟

ان سرْ خَلق الإنسان والغاية من إيجاده هي عبادة الله وطَاعته، هذا ما تقوله الآية المباركة:﴿ **وما خلقتُ الجنَّ والإنس إلاّ ليعبدون**﴾[1]، وهذه الحكمة الإلهية هي نفسهَا

---

(1) الذاريات : ٥٦

أساس بعث الأنبياء (ع): **﴿ولقد بعثنا في كلّ أمّة رسولاً أن أُعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾**(١).

إن سعادة الإنسان وعزّته كافية في العبادة، والعبادة هي التجارة التي لا يربح أحد منها غير الإنسان، فالله تعالى هو الغني المطلق، الذي لا تنفعه عبادة العابدين، ولا تضرّه معصية المذنبين، ألا ترى إلى المعلم، حين يُوصي تلاميذه بالدرس والمطالعة، إنّما يقصد في ذلك فائدتهم وصلاحهم، ولا يعود عليه من نشاط المُجدّين وفشل الكسالى نفعاً ولا ضرراً ؟

علل ودوافع العبادة:

١ ـ **عظمة الله**: حينما يتعامل المرء مع شخصية معروفة محترمة، أو عالم من العلماء، تراه يظهر لهما الإحترام والتكريم ويقف أمامهما بتواضع، لإنه يحسُ بالصغر أمامهما، هذا مع أُناس أمثاله فكيف الموقف والحال مع خالق الكون، وكل ما في الكون من عظمة وجلال؟!

---

(١) الزمر : ٧

إن إدراك الإنسان لعظمة الله وكبريائه أساس مهم في حصول حالة التعظيم والعبادة والطاعة.

٢ ـ **الإحساس بضرورة الإرتباط بالمطلق:** العجز والضعف والحاجة هي حال الإنسان وحقيقته، أما الغنى المُطلق وملكية كل شيء فهي حقيقة الله عزّ وجلّ وحده. وفي هذا أثر كبير في دفع الإنسان إلى الطاعة والعبادة.

٣-**شكر النعمة:** إن نعَمَ الله على الإنسان لا تُعدّ ولا تُحصىٰ، وهي تحيطهُ وهو جَنين في بطن أمّه، وتصاحبه طيلة حياته الدنيا، وترحل معه إلى الآخرة (إن كان من أهل النعيم)، يقول تبارك وتعالى: ﴿**فليعبدوا ربّ هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف**﴾[1]. فمن كان ذا بصيرة لفضل ربّه وخيراته، فلا بد أن يكون شاكراً حامداً له، وخير طريق وأفضل تعبير عن العرفان والشكر هي الطاعة والعبادة لله سبحانه.

٤ ـ **الفطرة:** العبادة هي طبع الإنسان وفطرته، وهو مجبول عليها في طينته، العبادة حاجة أصيلة في الإنسان لا بد من

---

(١) قريش : ٣ ـ ٥

إشباعها، لذلك فقد يهتدي إلى الطريق الصحيح والسبيل المستقيم، وهو صراط العبودية لله تعالى، وفي هذا يكون الكمال والمنال وقد ينحرف عن الجادّة، ويتّجه إلى آلهة باطلة كالأصنام والقمر والشمس والعجل والبقرة والمال والمقام والأزواج والطاغوت وغيرها، فيكون الهلاك والخسران. ومن هنا جاءت بعثة الأنبياء(ع) لتحمل معها معالم الهدى إلى الصراط الحق. يقول الإمام علي(ع) في الخطبة ١٤٧ من نهج البلاغة: (*فبعث الله محمداً بالحق ليخرج عباده من عبادة الأوثان إلى عبادته*).

إن العبادة لدى الإنسان أمر فطري كَمَيْل الأطفال إلى الطعام، فأنت ترى الطّفل يلتهم التراّب ويشعُر في ذلك بالإلتذاذ، لأنه محتاج إلى غذاء، ولأنه لم يُوجه الوجهة الصحيحة. ونفس الشيء يصدق على العبادة، فإن الفطرة الإنسانية المجبولة على العبادة لا تتوانى عن الإتجاه إلى أي شكل من أشكال العبادات، حتى وإن كانت عبادة منحرفة باطلة، إذا لم تُرشد إلى السبيل السَويّ، ولم تهُد إلى الصراط المستقيم.

كيف نعبد الله؟

العبـــادة التـي هي حضـــور أمــــام خــــالـق الكــــون ومـالكه،وجلـوس على الموائد المعنـويـة التي جعلها الله تعـالى لعباده، لا تُؤخـذ إلاّ منه سبحانه، فكما أن عنـوان البيت يُؤخذ من صاحبه، وكما أن الضيافـة الصحيحة، هي التي يُراعي فيها رغبة الضيف وذوقه، كذلك العبادة - سواء في شكلها وكيفية أدائهـا، أم في مضمـونها ومحتواهـا - يجب أن تكـون وفقـاً لما أراده الله وأمر بـه، والطريق إلى معـرفة ذلك هـو علماء الدين، والكتب الدينية.

إنَّ أفضل العبادات، هي تلك التـي تتوفر فيهـا المواصفات التالية:

١ - أن تكون عبـادة واعية: في هذا الإطار نقـرأ الأحاديث الشريفة الآتيـة: « *ركعتـان من عالم خير من سبعين ركعـة من جاهل*»[١]، «*المُتعبّـد على غير فقه كحمار الطـاحـونة يـدور ولا يبرح*»[٢]، «*من صَلى ركعتين يعلم ما يقول فيهما انصرف وليس بينه وبين الله ذنب*»[٣].

---

١) سفينة البحار
٢) المصدر نفسه
٣) الوافي ٢ : ١٠

وكذا تكون الصلاة معراج الروح، ووسيلة قُربٍ إلى الله.

٢ - أن تكون عبادة حُبّ: عندما تكون العبادة قائمة على حبّ الله، والشوق لمناجاته، فإن هناك أنس وذوق واندفاع ونشاط ورغبة وحماس يحصل في النفس، وعلى العكس، فإن أداء العبادة بكسل وفتور هو مؤشر على عدم الإشتياق للدعاء والنجوى، لذلك نقرأ في الدعاء (... واجعل نشاطي في عبادتك)[1].

إنَّ مثلَ الذين لا يشعرون بحلاوة طعم العبادة، كمثل المريض الذي لا يتذوق طعم الغذاء مهما لذ وطاب. وفي حال وجدان الحبّ والشوق، فلا حاجة بعدها إلى الحثّ والترغيب، لأن هناك اندفاع ذاتي، وميل باطني، وحالة تَرقّب وانتظار وَعَدّ للوقت لحظةً لحظةً شوقاً للقاء المحبوب.

إن سماع صوت (الأذان) عند أهل الحب، هو إعلان لقرب ساعة اللقاء، وقد كان رسول الله (ص) يُنادي بلالاً حين وقت الصلاة قائلاً: (أرِحنا يا بلال).

٣- أن تكون عبادة خالصة: آفة العبادة الرّياء، أمّا

---

١) الدعاء السابع من المناجاة الخمس عشر

الإخلاص فهو أثمن شيء للعبادة وللصلاة. والإخلاص ليس أمراً سهلاً، فمن أجل طرد الشيطان ووساوسه عن النفس، لا بد من بذل جهد كبير، وتحمل ألم شديد، ولا بد من التسلّح بإرادة قوية،وهمة عالية، إذ لا قيمة للعبادة عند الله، ما لم تكن نقيّة خالصة، ولا وزن عند الله للسجود والقراءة والركوع والوقوف في جميع صلاة الجماعة، إلاّ بالإخلاص، ولا بد من تطهير الصلاة والعبادة من صبغ الرّياء، وتزيينها بالصبغة الإلهية «صبغة الله» للقبول والوصول إلى الله، ﴿وما أمروا إلاّ ليعبدوا الله مُخلصين له الدّين﴾[1].

٤ - **أن تكون عبادة خاشعة**: الخشوع حالة قلبية، وهو ثمرة التوجه والمعرفة الكاملة لمقام وأهمية العبودية في المحضر الربوبي، فحينما يتعرف الإنسان على نقاط ضعفه ومواطن عجزه ويعرف عظمة ربّه وكماله المطلق، يقف آنئذ بين يدي الله بقلب خاشع متضرع متجه إلى معبوده وربّه يناجيه ويدعوه بتلك الصورة التي يصفها القرآن: **﴿الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾**[2]. وجاء في الحديث الشريف: *«اعبد الله كأنك تراه»*[3]، ونقرأ في حديث آخر: *«فصلّها لوقتها صلاة مودّع*[4]،

---

١) البينة : ٥
٢) المؤمنون : ٢
٣) مصباح الشريعة : ٨
٤) بحار الانوار : جزء ٨٤ : ص ٢٣٣

بمعنى أن يستشعر المُصليّ، وهو يؤدي صلاته، وكأنها آخر فرصة من عمره. وفي ذلك حثّ على الأداء لها بأحسن وجه ممُكن.

٥ - **العبادة الخَفيّة**: قال رسول الله (ص): *(أعظم العبادة أجراً أخفاها)*[1].

لماذا هذا التأكيد على إخفاء العبادة، وعدم المجاهرة بها؟

الجواب: لأن العبادات، وخاصة المستحبة منها، والتي تؤدىٰ على مرأى الناس ومسامعهم تكون الأرضية فيها مهيأة لحصول حالة الرّياء، ومتى حصل الرياء تضاءل الأجر والثواب، هذا في الموارد التي ليس فيها أمر وإلزام أو تأكيد على الأداء عَلانية، كما هي صلاة الجماعة في المسجد التي تفوق بثوابها وفضيلتها الصلاة في البيت فرادى.

إنَّ الشيطان - وهو العدو الأول للإنسان - قد أقسم على إغواء الإنسان، وإفساد عبادته، وإبطال أعماله العبادية، من خلال طرق كثيرة، منها طريق الرياء وإفساد النيّة، ومنها العجب واستكثار العبادة، ومنها إيقاع الإنسان بمستنقع

١) بحار الانوار : ج ٧٠ ص ٢٥١

الذنب، فيحبط العمل العبادي، وتـذهب الجهود هدراً ، كمن يزرع زرعـاً، فيأتي وقت حصاده بعد عنـاء وتعب كثير، ولكنه بـدلاً من الحصاد، يـوقدُ فيـه شرارة نار تحرقـه وتجعله رمـاداً، وكمثل ماء زلال في كأَس نظيف، لـوثته قطعـة تراب سقطت، أو حشرة هوت فيه. وهكذا يعمل الرياء والذنب حينما يصيب العبادة، إذ تحترق الصلاة بالرياء، والعبادة بالعجب، والصّدقة بالمنّة، والحسنات بالغيبة، ولا يبقى منها أثر.

شروط التكليف

(التكليف) هو الفـارق المهم بين الإنسان وسائر الكـائنات الحية، وهـذا من مفاخـر الإنسان أن يتشرَف بنـزول أوامر الله عليه، وأن يتعهد بأدائها وإنجازها، كما شاء ربّه عزّ وجلّ.

كـان أحدُ العلماء يقيـم في الذكـرى السنـوية لبلـوغـه سنّ التكليف احتفالاً خاصاً، وكـان يقول بأنني قد حظيت في مثَل هذا اليـوم بأن أكون أهلاً لقبـول المسؤولية، وأداء الـواجبات

الإلهية.

وحقيقةً إن يوم البلـوغ، هو يوم مبارك، وحـرّي أن يقام له حفل تكريم.

والآن مع شرح مختصر لشروط التكليف:

١ - البلوغ:

إكمال خمسة عشر سنـة، والدخـول في السادسـة عشرة، هو سن البلـوغ عند الـذكـور، أما عنـد الإنـاث فهو إكمال تسعـة سنين، والدخول في العاشرة. هذا بشكل عام. وهناك مَن يبلغ التكليف قبل هذا العمر.

ومع البلـــوغ التكليفي تترتب على الإنســـان مســـؤليـــات شرعيـة، بعضها واجبـات، وبعضها محُرّمـات، يجب معرفتهـا ومراعاتها. وهناك أنواع أخرى من البلوغ هي:

البلـوغ السيـاسي: وهـو عبـارة عن إدراك ووعي المسـائل الإجتماعية والسياسيـة، ومعرفة المجتمع والعلاقـات الدولية،

وأمثال ذلك.

البلوغ الإقتصادي: وهو بلوغ مُستوىً من النضج والرّشد، بحيث تكون له المقدرة على التصرّف في أمواله بشكل عقلاني.

بلوغ الزواج: وهو المرحلة التي يكون فيها الذكر والأنثى - بغض النظر عن السنّ - قادَرين على إيجاز وأداء مسؤولية الزواج، وإنشاء الأسرَة، وإدارة أمور حياتهما الزوجية.

ورغم أن البلوغ هو شرط التكليف، إلاّ أن الفتية والفتيات مكلّفون أيضاً - وقبل البلوغ - بمزاولة الأعمال العبادية، وترك المُحرمات والذنوب، وذلك استعداداً واستقبالاً لمرحلة التكليف، وكذلك الأولياء مسؤولون عن تربية أبنائهم، وتعويدهم على الصلاة والعبادة واجتناب المعاصي.

٢ - الإستطاعة:

الاستطاعة من شروط التكليف، ومن عدالة الله أن لا يأمر الإنسان بأكثر من طاقته وقدرته، إذ يسقط التكليف عند عجز

المكلّف عن أداء العمل، ﴿**لا يكلّف الله نفساً إلاّ وسعُها**﴾[1].

٣ - الإختيار:

في ظـروف الإضطرار لا يجب على الإنسـان أداء التكليف، ولو ترك في مثـل هذا الحال عملاً عبادياً مُعينـاً، فلا يعتبر ذلك ذنبـاً ولا إثماً. مثـال ذلك عدم الـذهـاب إلى الحج بسبب قيـام الحاكم الطـاغـوتي بـوضع العراقيل أمـام الحجـاج، وكإجبـار الإنسان بـواسطة القوة على إرتكـاب الذنب، على شرط أن لا يكون ذنباً بمستوى القتل وأمثاله.

٤ - العقـل:

العقل هـو أداة تفـوّق الإنسـان على الحيـوان، والعقل هـو شرط التكليف، ووعـاء المعـرفـة والعمل، وبـواسطتـه تحصل عملية العقاب والثواب للإنسان، إذا لا يوجد تكليف، في ذمة المجنـون والسّفيـه، ولأهميـة هذه الجوهـرة الثمينـة في وجـود

١) البقرة : ٢٨٦

الإنسان وفي حياته، فقد حـّرم الله كل ما يضرّ بالعقل ونشاطه، كـالشراب المُسكـر، وأمَرَ بما يُـوجب كمالـه وازدهـاره كطلب العلم، والشـورى، والسفـر، والاستفـادة من التجـارب، وغَيرها.

العبادة في الميزان

ذكـرنا معنى أن العبـادة، هي العبُـوديّة والطـاعة لله تعـالى، وأداء التكـاليف الشرعيـة، والامتثـال لمشيئـة الله وإرادتـه، والتسليم لأحكامه وأوامره ونواهيـه، هذه العبادة وما تتضمنه من أعمال لها مـراحل ومستـويـات مُختلفـة بـاختـلاف النيـة، وأسلوب الأداء، ومواصفات الأفراد . وهناك على ضوء ذلك مستوى من العبـادة يصل إلى درجة الصحّة في مـراعاة شروط وقواعد العبادة، ومرّة يصـل إلى درجة القبول، أي يكون لائقاً ومقبـولاً عنـد الله، وأحيـانـاً يحصل على أعلى المراحل، وهي مرحلة الكمال، وهي الصورة النموذجية المطلوبة.

إذن للعبادات شروط، هي:

شروط صحـة العبادات، شروط قبـول العبـادات، شروط كمال العبادات، وهذا توضيح لكل مرحلة:

شروط صحة العبادات:

صحـة العبـادة تـرتبط بأمـرين: النيـة الصحيحـة، والأداء الصحيح، بمعنى أن تكون الغاية منهـا قصد القربة ورضى الله

تعالى، وليس رضى الناس والمراءاة، وأن يكون أداؤها مطابقاً للأمر الإلهي حتى في الجزئيات.

إن من علامات خلوص العمل ونقاوة النية وصفائها، هي أن لا ينتظر المرء شكر الناس وثناءهم عليه، بل أن يتعلق قلبه ورجاؤه بالله فقط، وفي هذا يقول الإمام الصادق(ع): *«والعمل الخالص الذي لا تريد أن يحمدك عليه أحد إلاّ الله»*[1]، أما فيما يتعلق بهيئة وشكل العبادة، فهو أمر ينبغي ـ ويجب ـ أن يتأطر بالإطار المرسوم في الشريعة، وليس على أساس المزاج والذوق الشخصي والجمعي.

فكيفية الصلاة ـ مثلاً ـ متى تكون إخفاتاً، ومتى تكون جهراً، في أي الأحوال تُقرأ جلوساً، وفي أيها وقوفاً، أين تكون أربع ركعات، وأين تكون ركعتين، وأمثال ذلك، يجب أن تخضع جميعها للقواعد والمقررات الشرعية. *«لا قول ولا عمل ولا نيّة إلاّ بإصابة السُنّة»*[2].

ونضرب لذلك مثلاً، نقول: لو قيل لنا: إن في هذه البقعة كنز يقع في عمق ١٠٠ قدم في باطن الأرض، فإذا حفرنا

---

١) بحار الانوار : ج ٧٠ ص ٢٣٠

٢) قصار الجمل : جزء ٢ ص ٧٣

الأرض مسافةً أقل من المقدار المحدّد، فلا يمكن العثور عليه، لأننا لم نقصد النقطة المطلوبة، فتذهب جهودنا وأتعابنا بلا طائل، ونفس الأمر ينطبق على رقم التلفون، فلو اتصلنا هاتّفياً بدائرة حكومية أو منزل شخص، وحصل أثناء الإتصال خطأ، بإضافة رقم واحد أو نقصان رقم، فإن التماسّ المطلوب سوف لا يحصل، وهكذا بالنسبة للمفتاح الذي يزيد أو ينقص سناً واحداً عن المفتاح الأصلي، يعجز عن فتح قفل باب الدار. هذه الأمثلة الحسية، تصدقُ أيضاً على المسائل العقلية، إذ لا قيمة ولا فائدة تُرتجى من وراء العبادات التي يقوم بها الأفراد المنحرفون، الذين يُغيرّون في أشكال العبادات وصورتها تغييرات منشؤها الروح التمردية أو النزعة (التمدنية)، أو الحالة التنسكيّة، أو الجهل، وغيرها، في حين أن (التعبّد) معناه العمل بتعاليم الدين كما هي، بلا أية زيادة أو نقصان، وهذا هو المفهوم الواقعي الصحيح للعبودية والطاعة.

شروط قبول العبادة:

المقصود من هذه الشروط، هي تلك القواعد التي تؤدي

مُراعـاتها إلى القرب من الله، ونيل رضاه وأجره. فمجـرد كون الصلاة صحيحـة لا يؤثـر في تنمية وتـزكية الـروح، كالـدواء الـذي ليس فيـه شفـاء، وكالبضـاعـة التي ليس لها سـوق. إن العبـادات قد لا تنفع الإنسـان أكثـر من أن تنقذه من العـذاب والجزاء الإلهي، في حين أنها في مـرحلـة أخـرى، وفي مستـوى أرفع، تحقق ذلك الأمـر، مُضـافـاً إليـه قـرب العبـد من ربّـه ومحبوبيّته عند خالقه وقبول عمله لديه سبحانه.

أما الآيـات والروايات الـواردة في هذا المضمار، فهي كثيرة، إليكم بعضها:

١ - **في البُعـد العقـائدي (الإيمان)**: نقـرأ هنـا الآيتين الكريمتين: ﴿**من عمل صـالحاً من ذكـر أو أنثى وهـو مـؤمن فلنُحيينـه حيـاة طيبـة**﴾[١]، ﴿**ومن يكفـر بـالإيمان فقـد حبط عمله**﴾[٢] إذ لا أثـر طيب، ولا قبول عمـل، ولا عبادة يُـرتجى منها ثـواب، إلاّ في ظلّ الإيمان بالله، الذي هـو شرط في القبول والرضى عند الله.

٢ - **في البُعد السيـاسي (الولايـة)**: عن الإمام البـاقر (ع)

---

١) النمل : ٩٧
٢) المائدة : ٥

«من دان الله بعبادة يجهد فيها نفسه، ولا إمام له من الله، فسعيه غير مقبول»[1] وفي حديث آخر: *«من لم يَتولّنا لم يرفع الله له عملاً»*[2].

إن العمل العبادي لا يأخذ مجراه ومساره الصحيح إلاّ في ظل القيادة الإلهية، فهي التي تُبينّ معالم الطريق، فيمضي العمل العبادي على الصراط المستقيم، ليُعطى ثماره وآثاره البنّاءة في إطار الفرد والمجتمع.

وأما إن جرت العبادة وفق التفسير الشخصي وبمعزل عن الولاية والقيادة، فإنها ستكون إمّا عبادة ممحوقة محُبطة، أو منحرفة في الإتجاه الذي يخدم مصالح أعداء الدين.

العمل العبادي في ظل الولاية مَثَلُه مَثلَ قافلة يقودها سائق أمين عارف بالطريق، ما تلبث إلاّ وتصل إلى مقصدها، على عكس ركاب حافلة يقودها رجل يفتقد المهارة أو العقل، أو أنه يسير في الإتجاه المعاكس، فهم لا يصلون إلى غايتهم، بل ولا يزيدهم المسير إلاّ بُعداً، وقد لا يصلون إلاّ وهم موتى في الأكفان.

---

٣) الوسائل : ج ١ ص ٩٠
٤) الكافي : ج ١ ص ٤٣٠

وها أنت ترى الآن حال البلاد الإسلامية، التي لديها أرقى القوانين والنظم، وهو الإسلام، تعيش حالة الذلّ والفرقة والضّعف، لا لشيء إلاّ لأنها خضعت لولاية الجور والطاغوت، وابتعدت عن ولاية وطاعة القادة المعصومين (ع) ونوّابهم الفقهاء.

٣ - في البعد الأخلاقي في (التقوى): ﴿**واتلُ عليهم نبأ ابنيْ آدم بالحق اذ قرّبا قُرباناً فتُقُبِّل من أحدهما ولم يتقبّل من الآخر قال لأقتُلنّك قال إنّما يتقبّل الله من المُتقين**﴾[1]. التقوى شرط قبول الأعمال. ولا قيمة لأموال تنفق وهي مسروقة، ولا لصلاة تؤدى وصاحبها يأكل حق الناس، ولا جهاد صاحبه تارك للصلاة، ولا لصلاة لا تنهي صاحبها عن ظلمً الناس، ولا لزيارة ولا لنافلة مع البهتان والغيبة والنظر بسوء وريبة إلى أعراض المسلمين، فكل تلك الأعمال العبادية لا وزن لها ولا قيمة عند الله، لأنها غير معجونة بالتقوى والخوف من الله.

٤ - في البعد الإقتصادي (مساعدة المحتاجين): الفقراء هم عباد الله، ولا قيمة لعبادة لا تحمل معها هَمَّ الضَعفاء والمحرومين، والإهتمام بأحوالهم. ومن هنا جاءت (الصلاة)

١) المائدة : ٢٧

و(الزكاة) مترادفتـان في كثير من الآيات والروايـات، فالصلاة هي ارتباط العبـد مع ربّه، والـزكاة هي العـلاقة مع خلق الله. وقد رُوي عـن الإمام الـرضا (ع) قولـه: «*من صَلّى ولم يُزكّ لم تُقبل صلاته*»[1]، ذلك لأن عدم إعطاء الآخرين حقوقهم التي فرض الله لهم، تجعل أمـوال الإنسان مخلوطة بـالحرام، فتخرج الحياة الإنسانية عن طريقها الإلهي المطلوب.

٥ - في البعد الإجتماعي (السلوك الحسن): أساس المجتمع الإسلامي الاخـوة والصّفاء والعلاقات الصميميّـة، وكل أمر وفعلٍ يُوهن هـذه العلاقات والـروابط، ويمزّق حبل الـوحدة والمودّة، ويهتك حـرمـة النّـاس، فهـو عمل قبيح لا يضر بـالآخـرين فقط، بل يلحق بصـاحبه ضرراً بـالغـاً ـ أيضاً ـ ويجعل قبول عبادته على حافة الخطر والرَدّ. ومن مفردات هذه القبائح هي الغيبة والإفتراء، والتفرقـة والنميمة، وسوء الخلق وسـوء السلـوك، وإيـذاء النّـاس، وقطع صلـة الـرّحم، وعلى خلافها تكون صلـة الرحم، وحسن الخلق، والمودّة مع الناس، وصفاء النية وسـلامة السريرة، عوامل قـربٍ من الله، وأسباباً لرضاه تعالى.

---

١) بحار الانوار: ج ٩٦، ص ١٢

وفي هذا الصدد نقرأ الروايات الآتية: عن الرسول الأكرم (ص)، قال: «*من مشى إلى ذي قرابة بنفسه وماله ليصل رَحمَه أعطاه الله عزّ وجلّ أجر مئة شهيد*»[1]. وعنه (ص): «*يا أبا ذرّ إيّاك وهجران أخيك، فإن العمل لا يتقبل مع الهجران*»[2]. وعن الإمام الصادق (ع): «*إن سوء الخلق ليُفسدُ العمل كما يُفسدُ الخلّ العسل*»[3].

٦ - **في البعد العائلي (رعاية الحقوق)**: بين الرجل والمرأة حقوق متبادلة، فالزوج الذي يؤذي زوجته، والمرأة التي تؤذي زوجها، لا يصلحان لمقام عبودية الله وطاعته، وقد جاء في رواية عن رسول الله (ص) مضمونها أنّ الله لا يقبل لهما عملاً صالحاً[4]. وفي رواية عن الإمام الصادق (ع) في شأن الوالدين، وما لهما من حق على أولادهما، وما لهما من مكانة عند الله عزّ وجلّ، قال (ع): «*من نظر إلى أبوَيه نَظَر ماقت، وهما ظالمان له، لم يقبل الله له صلاة*»[5].

نعم إن عبادة الله وطاعته ليست مجرد أداء طقوس، بل إن الأنموذج المطلوب من العبادات، هو ذلك الذي يُؤدى فيه

١) مكارم الاخلاق : ٤٣١
٢) مكارم الاخلاق : ٥٥٤
٣) احوال الكافي : ج٢ ص ٣٢١
٤) الوسائل : ج١٤ ص ١١٦
٥) اصول الكافي : ج ٢ ص ٣٤٩

حَقّ الأسرة، وتراعي فيه حقوق الوالدين. إن الصلاة معراج الروح إلى ربها، وسلّم السير المعنوي إلى الله، وهذا المعراج وذلك السير يحتاجان إلى قاعدة قوية للإنطلاق. والعلاقات الصحيحة، والروابط الوثيقة بين الأسرة وأعضائها، هي الأساس المُحكم، والقاعدة الراسخة التي يُقام عليها الهيكل الأمثل للعبادات والطاعات والقُربات إلى الله تبارك وتعالى.

علامة قبول الصلاة:

إن وجود هذه الشروط الكثيرة كأمور يجب مراعاتها من أجل قبول الصلاة والعبادة يفرض علينا القيام بعملية مراقبة مستمرة لأنفسنا، لئلا تذهب أتعابنا وجهودنا أدراج الرياح، فقد صار واضحاً أن مجرد أداء التكليف وإنجاز الواجب ليس أمراً كافياً، ولا بد من مراعاة كل الجوانب الأخرى المحيطة بالعمل، والتي تشكل جزءاً من البناء الأصلي للعبادة. ولعل هذا هو ما يشير إليه أمير المؤمنين (ع) في قوله: «*كونوا على قبول العمل أشدَّ عناية منكم على العمل*»[1]. أمّا ما هي

١) بحار الانوار: ج ٧١ ص ١٧٣

الدلائل على قبول العبادة، وما هي مؤشرات ذلك؟ فهذا ما يجيب عنه الإمام الصادق(ع): *«من أحبَّ أن يعلم أقُبلت صلاته، أم لم تقبل، فلينظر هل منعته صلاته عن الفحشاء والمنكر، بقدر ما منعته قُبلت منه»*[1].

شروط كمال العبادة:

شروط كمال العبادة هي الأمور التي يُعطي وجودها للعمل العبادي قيمة رفيعة، وكمال عظيم. وهذه الشروط، هي:

١ - **المصاعب**: يقول الإمام علي(ع): *«أفضل الأعمال ما أكرهت نفسك عليه»*[2]، في العبادات مصاعب ومتاعب، في العبادات صراع مع أهواء النفس ورغباتها نحو الترف والميوعة، في العبادات يوجد من الأعمال ما هو صعب، وما هو أصعب، فذلك الذي يقف مع رسول الله في الظروف العصيبة يؤازره وينصره ويدافع عنه، وذلك الذي يقطع أياماً وليالي مشياً على الأقدام لحج بيت الله الحرام. وذلك الذي يجاهد بنفسه وأمواله في سبيل الله، هو صاحب المنزلة والمكانة

١) بحار الانوار : ج ٨٢ ص ١٩٨
٢) قصار الجمل : ج٢ ص ٧٤

المُقرّبة والمكرّمة عند الله. فالعبادة الأصعب والأشقّ، هي الأعظم ثواباً وأجراً.

٢ - **النظم**: العبادة الأفضل، هي العبادة المؤدّاة على ضوء برنامج مستمر، ومنهاج منتظم ومبرمج.

وقد حثّت الروايات الشريفة على تقسيم الوقت وتنظيم العمل بالشكل الذي لا يكون في الجانب العبادي إفراط ولا تفريط.

٣ - **مراعاة الأهمية**: قد يتزاحم في وقت واحد عملان صالحان لا يمكن إنجازهما معاً، فما هو الحل؟

يقول الإسلام: إن الحل هو التضحية بالمهم من أجل الأهم، فيتقدم الأهم ويتأخر المهم، فحين يكون الأقربون في عُسر وحاجة، فهل من الصحيح التصدّق على الآخرين الأبعدين؟ وعندما تضرّ المستحبات بالواجبات وتؤثر عليها فمن الأولى تركها والإنشغال بالثانية.

فالمستحب لا يُبرر ولا يعوّض ولا يسدُ مكان الفرائض الواجبة، في أي حال من الأحوال.

وهكذا لـو توفرت فـرصة الإتيـان بأحد عملين، عمل ذي نفع عــام، وآخــر محدود، فإن الحكم الشرعـي وحتى الحكم العقلي يأمران بتقديم الأول على الثـاني. يقول الإمام علي(ع): *«لا قربة بالنوافل إذا أضرّت بالفرائض»*[1].

٤ ـ **البركة**: البركـة في العمل العبادي، هـي في بقاء أجـره وثوابـه، ومثل هكذا عبادة خـالدة الأثـر والأجر، هي الأكمل والأفضل من غيرها.

٥ ـ **المسابقـة في الخير**: الـزمن له دور مهم في قيمـة العمل الصـالح، والسبق الزمني يحتل ميـزة خاصـة في موقع العبـادة ووزنها وثمنهـا. فـالإيمان بالإسـلام في عصر العسرة والشـدة والمحنــة، هـو أشرف بكثير من الإســلام في زمن الإنتصــار والغلبـة، وكـذا الأمر في أداء الصـلاة أول الـوقت، وأداء كل عمل صالح في أقـرب فرصة متاحـة. إن ما ورد في كتاب الله، وكلام المعصومين(ع) من تأكيد كثير على المســابقة والمسـارعة في الأعمال الصالحة، لهو إشارة ودليل على قيمـة وأهمية العبادة والعمل الذي تجري فيه المسابقة.

---

١) الحياة: ج ١ ص ٣١٨

٦ ـ **الدّوام والنشاط**: العبادة الأكثر كمالاً، هي التي يؤديها العبد بنشاط واندفاع واستمرار، وليس كما هو شأن المنافقين، الذين إذا قاموا إلى الصلاة قاموا كسالىٰ، كما يصفهم القرآن. ولا كعبادة المذبذبين والمُشكّكين من مرضى القلوب، التي تفتقد إلى العزم والمواصلة والإخلاص.

إن العمل القليل المستمر خير من العمل الكثير المنقطع.

وفي القرآن وصف جميل لتسبيح الملائكة: ﴿**يُسبّحون اللّيل والنهار لا يفترون**﴾[1].

٧ ـ **البصيرة واليقين**: إن وجود العمق الفكري واليقين القلبي والوعي العقلي في العَمل العبادي المنجز يُعطيه فضلاً وعُلّواً على العمل العبادة السطحي. وهذا ما نقرؤه في الحديث الشريف التالي: «*إنّ العمل الدائم القليل على اليقين، أفضل عند الله من العمل الكثير على غير يقين*»[2].

---

١) الانبياء : ٢٠

٢) اصول الكافي : ج١ ص ٥٧

معالم الصلاة في مرآة الوحي

إلى الآن كان حديثنا يدور حول العبادة بمعناها العام والتي تتضمن الصوم، والصلاة، والحج، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وطلب الرزق الحلال، والجهاد، ومساعدة الناس، وطلب العلم، ومراسم العزاء على شهداء كربلاء، والإحسان بالوالدين، والعطف على اليتيم، والزكاة والخمس وغير ذلك، والتي تمثل كل واحدة منها شكلاً ولوناً من ألوان العبادة، مع اشتراط النيّة الخالصة، ومع الإعتراف بأهميتها جميعاً إلاّ أن الصلاة تحتل من بينها الموقع الممتاز، لأنها المشهد العبادي الأكثر بروزاً ووضوحاً، إذ تتجلى فيها العبودية والطاعة والخضوع أمام الله بأجلى وأروع الصُور.

وقد تضمنت آيات القرآن وروايات المعصومين(ع) جوانب كثيرة من الصلاة: أوصاف الصلاة، فلسفتها وحكمتها، آثارها وفوائدها، شروطها وآدابها، مكانها وزمانها. لا يتّسع المجال لها الآن بيد أننا سنحاول على ضوء القرآن الكريم والحديث الشريف بيان قطرة من بحر معارف الصلاة.

الصلاة هي العبادة الأولى في مقام الأهمية، وهي وصيّة الأنبياء(ع) لقومهم وللنّاس، فهذا لقمان يوصي ابنه بالصلاة **﴿يا بُنيّ أقِم الصلاة﴾**[1]، وذلك عيسى بن مريم(ع) يقول وهو في المهد: **﴿وأوصاني بالصلاة والزكاة ما دمت حيا﴾**[2]، وهذا الرسول الأكرم (ص) يقول عن الصلاة *«قُرّة عيني في الصلاة»*[3]، الصلاة هي ميثاق بين الله وعباده، *(الصلاة وجه دينكم)*[4]، و*(الصلاة تنزيهاً عن الكبر)*[5]، الصلاة عمود الدين، ومفتاح الجنة، وبالصلاة يوزن الناس ويُعرفون، الصلاة تغسل الذنوب، وتُطهّر القلب والنفس من آثار المعاصي.

إن الوقوف خمس مرات في اليوم في المحضر الربّوبي ضمن مراعاة للشروط والآداب، مع ذكر وشكر لله على أنعمه، وعرض الحاجات بين يديه، والتضرع والخشوع والخضوع إليه، هي عملية شبيهة بالإغتسال والنظافة اليومية في مياه نهر جار.

---

١) لقمان : ١٧
٢) مريم : ٣١
٣) بحار الانوار : ج ٧٧ ص ٧٧
٤) كنز العمال : ج٧ ص ٢٧٩
٥) فروع الكافي : ج١ ص ٢٧٠

الصلاة هي أول ما يُسأل عنه الإنسان يوم القيامة، فإن رُدّت رُدّ ما سواها من الأعمال، وإن قُبلت قُبل ما سواها.

الصلاة هي العبادة الوحيدة التي لا يسقط تكليفها في أي حال كان الإنسان، في مرض أو غرق أو حرب.

الصلاة هي مظهر عبودية الإنسان لخالقه وربّه وإلهه، ورفض الإنقياد للظالمين والطواغيت.

الصلاة إحياء لدين إبراهيم (ع) ومحمد (ص).

الصلاة هي العبادة التي لم يغفل عنها الإمام الحسين (ع) وهو في يوم عاشوراء.

الصلاة هي العبادة التي يعشقها عباد الله، وينآى عنها أعداء الله، ﴿وإنّها لكبيرة إلاّ على الخاشعين﴾[1].

الصلاة سلاح ضارب، يفتك بالشيطان وأوهامه وأحلامه.

الصلاة تزامن وتضامن مع كل الكون في عبادة الله، إذ يقف الكون وما فيه عابداً لله وساجداً ومُسبّحاً له.

وفي موقف الإمام علي (ع) وهو في ميدان حرب صفّين،

---

١) البقرة: ٤٥

وموقـف الإمام الحسين (ع) وهـو في ميدان الطّف، وقيـامهما بأداء الصلاة أثناء الحرب، فيه من الدلالة والإشارة البالغة على أهميـة الصلاة وقيمتهـا ما يغني عن البيـان. وفي زيارة الإمـام سيد الشهداء نقرأ هذه الفقرة: (أشهدُ أنك قد أقمتَ الصلاة). إن القلب وهو يعيش ذكـر الله، وهو يستغيث بـالله في حالات القلق والشـدّة والمشكـلات، يَسبَحُ في بحـر من الطمأنينـة والسكينـةَ والغلبـة على عُقـد الحياة ومصـاعبهـا، لهذا نقـرأ في القـرآن الكـريم هـذا الأمـر الإلهي: ﴿**واستعينـوا بـالصّبر والصلاة**﴾[1]. وهـذا الإمام الصـادق(ع) يجمع أهلـه وعيالـه وهو في اللحظات الأخيرة من عمره الـدنيوي الشريف مُودّعاً إياهم الوداع الأخير ومُـوصيهم بهذه الوصيّة: «*إنَّ شفاعتنا لا تنال مُستَخفّاً بالصلاة*»[2].

إن تـرك الصـلاة عمـداً هـو الحد الفـاصل بين الإسـلام والكفر، إذ لا قيمـة ولا وزن لمن يزعم أنـه مُسلم، وهو قـاطع علاقتـه وارتباطـه مع الله. وقد ورد عن الـرسول(ص) قوله: «*من ترك الصلاة مُتعمداً فقد كفر*»[3]، وعن أمير المؤمنين(ع): «*من ضَيّع الصلاة فهو لغيرها أضيع*»[4].

---

١) البقرة : ٤٥
٢) بحار الانوار : ج ٨٢ ص ٢٣٦
٣) المحجة البيضاء : ج ١ ص ٣٠١
٤) مستدرك الوسائل : ج٣ ص ٣٤

الصلاة هي ميدان قطع الصّلـة مع كل شيء سوى الله، قال رسول الله(ص): «*أيّما عبد التفت في صلاته، قال الله: يا عبدي إلى من تقصد وتطلب، أربّاً غيري تـريد، ورقيباً سواي تطلب، أجَواداً خـلاي تبغي، وأنا أكرم الأكرمين، وأجـود الأجودين، وأفضل المُعطين؟!*»[1].

الصلاة شكر النّعمة:

من طبع الإنسـان وفطـرتــه الميل والحبّ لمن أحسن إليـه، فالنعمـة والإحسان تؤديان إلى الثنـاء والشكر، الشكر بـالقول وبالعمل. ولما كـانت نعمُ الله تغمر النـاس، وتحيط بهم بشكل يصعب حصرهـا وحسَابهُا، فلا بـد إذن من استشعـار وإظهار الشكـر والحمد لـواهب النعَم على ألطـافـه وفضله وخيراتـه، وهذا ما يمكن للإنسان التعَبير عنه بالصلاة.

الصـلاة هي أداة من أدوات شكـر الله على مـواهبـه الماديـة والمعنـويـة، من عقل وإدراك، وثمـر ونبات، ومطـر وشجـر، وسمك وطيــور، وشمس وضيــاء، وليل وسُبــات، إلى نعِم

١) مستدرك الوسائل : ج١ ص ١٧٣

أرقى[١]، نعمة الدين والهداية والولاية والضمير، كل ذلك من أجل سعادة الإنسان وكماله.

وهبنا طبيعة مُسخّرة، وقوى نافعة، وجوارح متناسقة، كل ذلك وسيلة لهدف عظيم، هو معرفة الله تعالى.

خلق الله الكون وفق نظام وحساب، فهذا الماء قد جعله زُلالاً عذباً، ولو جعله مالحاً أجاجاً لأنعدم أثره في الحياة والارواء، وهذه جاذبية الأرض، ونور الشمس، والقابلية على النُطق، والمقدرة على البصر والرؤية، وآلاف النعَم الأخرى التي تملأ الكون، قد وضعت في مواضعها بمنتهى الحكمة، وهي آيات إلهية تدعو الإنسان إلى معرفة عظمة الخالق وشكره على منّه وإحسانه.

الصلاة من أجل مظاهر الشكر، الشكر الذي يثمر بدوره خيراً كثيراً، ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه، شكر الإنسان لربّه نفع للإنسان نفسه، إذ أن الله غني عن العالمين، لا يزيده شكر الشاكرين شيئاً، ولا ينقصه كُفر الكافرين شيئاً، كما لو شكر الطالب أستاذه.

إن أولئك الـذين يعيشون عمـراً طـويلاً على الموائد الماديـة والمعنويـة التي جعلها الله في هـذه الحياة ولا يكلفـون انفسهم بالسجود لله شكـراً وحمداً على مواهبه وخيراته، هـم الغافلون حقّاً.

آداب الصلاة

من أراد أن يكون وقـوفه وحضوره أمام اللهحضـور العابد الشاكر العارف، فعليه أن يهيء لذلك الموقف قلباً طاهراً، ونية خالصة، وحياة صالحة، وأخلاقاً حسنة، وبصيرة ثاقبة، ولساناً نظيفاً من الذنب، ونفساً لم تلوثها المعصية، وحضوراً قلبياً.

يقول الإمام الصادق (ع): «*إذا استقبلت الصلاة فآيس من الدنيـا وما فيهـا، والخلق وما هم فيه، واستفـرغ قلبك من كل شاغل يشغلك عن الله تعالى، وعـاين بسرّك عظمة الله، واذكر وقـوفك بين يـديـه يـوم تبلـو كل نفس مـا أسلفت*»[1]، هـذه الآداب الظاهرية والباطنية في الصلاة، مُضافاً لها توفر الشروط التي وردت في صحة العبادات وقبـولها وكمالها، تُعطي للصلاة لياقة القبول والعروج إلى السماء.

وفي آداب الصلاة هنـاك ثلاثـة أقسام: مقـدمات الصـلاة، ملازمات الصلاة، تعقيبات الصلاة.

فـالمقـدمـات هي مـا يجب مـراعـاتـه قبل شروع الصـلاة، والملازمات، هي ما يجري أثناء الصـلاة، وأما التعقيبات، فهي تلك التي تأتي بعد الصلاة.

١) المحجة البيضاء : ج١ ص ٣٨٢

مقدمات الصّلاة:

١ ـ الطهارة: يقول الإمام الباقر (ع): «لا صلاة إلاّ بطَهور»[1]، فالوضوء مقدمة الصلاة، وهو أمر واجب على المُصليّ قبل شروعه بالصلاة. الوضوء من الإيمان، الوضوء نور وصفاء باطني، الوضوء يمنح الإنسان نشاطاً، ويدفع عنه الكسل والفتور. الوضوء نظافة للجسم والنفس، الوضوء أرضية الصلاة، والمُمّهد لها، يقول الفيض الكاشاني: إن النهوض من الحياة المادية دفعةً واحدة، والسّفر إلى الحياة المعنوية، أمر صعب يحتاج إلى تمهيد، والوضوء تهيئة للإنسان لذلك السفر.

الوضوء كفّارة للذنوب الصّغيرة، ويستحب للإنسان أن يكون على وضوء دائم، حتى حين النّوم. ولا يجوز مَسّ القرآن، واسم الله والنبي والأئمة، إلاّ بوضوء، لأن الطّهارة بمثابة الإستئذان للدخول على عتبة المحضر الإلهي.

أما مراتب الطهارة ودرجاتها، فهناك ثلاثة مستويات هي: طهارة الظاهر من وجود النجاسات المادية، طهارة الجوارح

١) المحجة البيضاء: ج١ ص٣٨٢

وأعضـاء البدن من الـذنوب والمنكـرات، وطهارة الـروح من المفاسد والرّذائل الأخلاقية[1].

الغُسل والتيّمم: قـد لا تتم الطهارة ولا تصحّ إلاّ بـالغسل كمقدمة للصلاة، كما هو في حـالات الجنابة، وقد يكون التيمّم بالأرض وتـرابها هو تكليف المُصليّ، كما لو أنعـدم وجود الماء، أو أن هناك ضرراً باستخدامه، أو في حالة. ضيق الوقت، أو في ظـرف لا يوجـد لدى الإنسـان من الماء إلاّ ما يكفيـه للشرب وحفظ النفس، وغير ذلك من الأسبـاب. ومن أراد التـوسع أكثر فليراجع الرسائل العملية.

٢ ـ **لباس المُصليّ ومكـانه:** إن ستر البدن عنـد الصلاة أمـر واجب ضمن الحد المقرر شرعاً، وهو العـورة بالنسبة للرجال، وتمام البدن مـا عدا الـوجه واليديـن والقدمين إلى المفصل فيما يخص النساء، والأفضل للـرجال ستر منطقـة البدن من السرُة إلى الركبتين.

أمـا اللبـاس، فيجب أن يكـون طـاهـراً ومُبـاحـاً، أي غير مغصوب أو مسروق. والأفضل ارتـداء الزيّ الأبيض، ولبس

١) المحجة البيضاء : ج١ ص ٢٨١

خاتم من عقيق وعدم ارتداء اللّباس الأسود والضيّق والوسخ، ولا استخدام لباس الأفراد الذين لا يُراعون الطهارة. هذا في ما يخص اللّباس.

أما المكان، فيجب أن يكون مُباحاً، إذ لا تجوز الصلاة في مكان الآخرين إلاّ برضاهم وإجازتهم.

وفي مراعاة هذه المسائل يتحقق في سلوك المصلي مراعاة الأدب العبادي، ومراعاة حق النّاس. وفي هذا الصدد بحوث كثيرة تُطلب من مصادرها في الرسائل العملية.

٣ ـ **معرفة القبلة:** من الواجبات في الصلاة أن يكون إتجاه المصلي نحو القبلة، وهي الكعبة المُقدّسة. والهدف من هذا التوجه، هو أداء الإحترام والتكريم لإبراهم النبي(ع)، الذي بنى بيت الله الحرام، وكذلك لتوجيه القلب نحو نقطة مُقدسة، ولتنسيق وتنظيم المُصلين والعابدين في اتجاه واحد، وأسرار أخرى غير ذلك. وهذا التوجه نحو نقطة ودلالة مُعيّنة أمر رَمزي، وإلاّ فإن الله تعالى لا يحده حد ولا يقيّده زمان أو يحصره مكان، بل هو خالق الزمان والمكان، وهو كما تقول

الآية ﴿أينما تَولّوا فَثَمّ وجه الله﴾[1].

لقد كان بيت المقدس هو الكعبة الأولى للمسلمين، وحينما راح اليهود يستهزئون من المسلمين من أنهم لا قبلة مستقلة لهم، راح النبي(ص) ينتظر التكليف الإلهي، إلى أن جاء أمر الله بتغيير القبلة نحو الكعبة. وهذه القضية تُعطي لنا درساً في وجوب وضرورة الاستقلال والاعتماد على النفس، وعدم التبعية للأجنبي: وهكذا اقتضى الأمر الإلهي أن تكون الصلاة والدعاء، وذباحة الحيوان، وتناول الطعام والنوم، وكثير من الأعمال الأخرى في اتجاه القبلة.

وفي هذا تناسق وتطابق بين البدن والروح، وبين الظاهر والباطن، ليكون الإنسان في حال ذكر وتوحيد لله في كل زمان ومكان. نعم إن في الكعبة ذكرى إبراهيم واسماعيل ومحمد عليهم الصلاة والسلام، ومنها انطلقت ثورة عاشوراء، ومنها تنطلق الثورة العالمية للإمام المهدي (ع).

٤ ـ **الأذان:** الأذان هو الشعار التوحيدي للمسملين، الأذان هتاف لتوحيد الله سبحانه، والإقرار بنبوّة محمد(ص)،

---

١) البقر: ١١٥

وولايـة علي(ع)، الأذان بشـارة الفـلاح في ظل الصـلاة (حيَّ على الفلاح)، الأذان تكبير الله عزّ وجلّ. الأذان هتاف ببطلان الآلهة الوهمية الزائفة، والدعوة إلى الإسلام.

لقـد كـان الصحــابي الحبشي (بـلال) هـو المؤذن الأول في الإســلام، وفي ذلك بيــان عملي وتجسيــد واقعي على رفض الموازين المادية في تقييم الناس، واعتبار التقوى والإيمان أساساً ومعياراً لوزن الناس وتمييزهـم.

الأذان إعداد النفس والقلب والـروح الإنسانيـة لاستقبال الصلاة. إن الصّـوت الملكوتي لـلأذان هو بشـارة فرح وسرور للمؤمنين، وصيحة غضب وخوف في قلـوب الكافرين، ومن هنا كـان الشهيد نوّاب صفوي يـوصي أصحابه بالأذان عـالياً حين تحين صلاة الظهر والمغـرب في أي مكان كانوا، وقـد أثار أذانهم ذلك الرّعب والوحشة في أزلام النظام الشاهنشاهي.

في إحدى جلسـات البرلمان البريطاني وقف (اكـلادستون) السياسي المعروف، ليقول: ما دام اسم محمد (ص) مرفوع فوق المنارات، وما دام القرآن والكعبة موجودان، فإن من المستحيل

أن يقرّ لسياستنا في بلاد المسلمين قراراً[1].

نعم فالأذان هتـاف وصرخة تـزهق الباطل، وتحُطّم الشرك والكفر.

ونحن أيضاً نقول، من أعماقنـا، هاتفين رغم أنف المشركين والكافرين: الله أكبر، الله أكبر لا إله إلاّ الله، محُمّد رسول الله.

---

١) تفسير نمونه: ج٤ ص٤٣٨

النيّة مظهر للإخلاص

والآن من مقدمات الصلاة إلى نصها ومضمونها. ونبدأ من النيّـة التي بها يُقيّم العمل ويُـوزن. إن النيـة لها من الأهميـة في العمل بحيث يـؤثر أي خلل فيهـا ـ من ريب ورياء ـ فيؤدي إلى ذهـاب العمل هـدراً، وإفسـاد العبـادة، وبُطـلان الثـواب والأجر. ونظراً لأهمية الإخلاص في النيـة، وموقع النية الممتاز في العبـادات وخـاصـة الصـلاة، فسـوف نخصص لها بحثـاً مفصلاً ـ إلى حد ما ـ في هذا الكتاب.

ما هي النيّة؟

النيّة هي الدافع والمُحرّك والغـاية التي يهدف إليها الإنسان من قيـامه بعمل مـا، وعبادة مـا. هذا الـدافع والغايـة يجب أن يكون في الأعمال العبادية دافعاً إلهيّاً خالصاً.

أي أن يـؤدي الإنسـان صـلاته بقصـد القـربـة ورضىٰ الله وإطـاعة أمـره. وفي هذا الحال فقـط يتقرب الإنسـان بعبادتـه وصلاته إلى ربّه ويسعدُ بها ويُثاب.

النيـة هي أن يحمـل الإنسـان المصلي ـ وهو يستعد لصلاته وأثنـاء صـلاتـه إلى نهايتهـا ـ إدراكاً وفهما للعمل والغاية منه، ويجب المحافظة على ذلك الهدف المحـدد في الشرع، وهو (ذكر الله) في القلب والـذهن، وإبعـاد كل شائبـة مـاديـة تؤثـر فيـه وتلوثه، من رياء وتظاهر وحب المدح من الناس وأمثال ذلك.

إن طريق العبادة والعبودية لله تعـالى طريق تحوطه الأخطار والمنـزلقـات، لـذلك لا عجب أن يـرد التأكيـد الشـديـد في النصوص الدينية على ضرورة عدم الغفلة عن الغاية والهدف، فنقرأ تكراراً متواصلاً لعبارات (في سبيل الله، في الله، لله)، وقد وردت عبارة (في سبيـل الله) سبعين مرة في القرآن الكـريم في إطـار نشـاطـات عبـادية، مثل الصـلاة، والـزكـاة، والجهـاد، والهجرة، والشهادة، والإنفاق، وغيرها.

إن العمل المطبـوع والمُزيّن (بالصبغـة الإلهيـة) عمل خالـد عظيم، لا يخضع لميزان العقل البشري، بل تـرى قليله في ميزان الـديـن كثيراً، وصغيره عظيماً، فيكـون أجـر الإنفـاق القليل الخالص ثواباً عظيماً، وتتغير صـورة العمل الدنيوي والمادي في ظل النيّة الإلهية إلى عمل أخروي معنوي.

إن سبيل الله هو الذي يثمر في الأعمال سعادةً وفلاحاً، ولا قيمة لصيام وجهاد وإنفاق وعبادة في غير سبيل الله. في حين أن إنفاق درهم واحد، والسجود لله سجدة قصيرة، والذهاب إلى الجهاد مرة واحدة، إن كان في سبيل الله، فهو محفوظ عند الله، وصاحبه مأجور. رُوي عن الإمام الصادق(ع) قوله: «*من أراد الله بالقليل من عمله، أظهره الله أكثر مما أراد، ومن أراد الناس بالكثير من عمله، أبىٰ الله إلاّ أن يُقلّله في عين من سَمعه*»، نعم إنّ من أراد حبّ الناس ومودتهم فليطلب ذلك من الله، الذي هو (مقلّب القلوب) لا بالرياء، ويقول الإمام الصادق(ع): «*القلبُ حرم الله، ولا تسكنوا حرم الله غير الله*».

الإخلاص:

لا شيء أثمن وأغلى للعمل من الإخلاص، وإن إخلاص النية لله وحده لا شريك له، هو الفلاح والنجاح وخلود الأعمال الصالحة، في حين أن معظم أعمالنا ـ للأسف ـ تخضع للمصالح الشخصية ، ومحاولة كسب رضى الناس وإعجابهم.

وقد روي عن الإمام علي(ع) قوله: «*أخلص لله عملك وعلمك وبغضك وأخذك وتركك وكلامك وصمتك*»[1].

إن الصلاة والعبادة التي لا تؤدي بهدف القربة إلى الله تعالى بتمامها وكمالها، هي عبادة باطلة ممحوقة. ولا فائدة ولا قيمة لصلاة جزء منها خالص لله، وجزء آخر قربة لغير الله.

تقول الآية المباركة: ﴿**ولا يشرك بعبادة ربه أحداً**﴾[2].

ونفس الأمر يصدق على الجهاد، فالمقاتل في أرض المعركة الإسلامية، لا يجني من جهاده ثمراً إن كان قد خرج لطلب الغنائم، أو الرياء، أو إظهار البطولة والشجاعة، وأمثال ذلك[3].

إن الشرك قد يدخل في عمل الإنسان وهو لا يشعر، وبتعبير الإمام الحسن العسكري(ع) في حديث، قال: «*الإشراك في الناس أخفى من دبيب النمل على المسح الأسود في اللّيلة المظلمة*» [4]يقول الإمام علي(ع): «*الإخلاص أعلى الإيمان*».[5] والعبادة الفارغة من الإخلاص عبادة مريضة وميّتة ولا أثر لها.

---

١) فهرست غرر الحكم، مصطلح الاخلاص

٢) الكهف : ١١٠

٣) المحجة البيضاء : ج٦ ص ١٧١

٤) تحف العقول: ٤٨٧

٥) فهرست غرر الحكم، مصطلح الاخلاص.

طريق تحصيل الإخلاص:

من كانت لديه بضاعة ثمينـة، فباعها بسعر زهيد فقد أخطأ في ذلك، وهــذا الخطـأ يحتمل لــه ثــلاثَ احتمالات أدت إلى وقوعه:

الإحتمال الأول: هو عدم إدراك البائع لأهمية بضاعته.

والثاني: هو احتمال كـونه رجـلاً غريبـاً لا يعرف في السـوق أحداً.

والأمر الثالث: هو جهله بالأسعار ووضع السوق.

أمـا في سوق الحيـاة، وفي تجارة النفس، فقد رسم الله تعـالى الطريق للناس بكل وضوح، وهـدى البشرية إلى معرفة قيمتها ووجودها، من أجل أن لا يبيع الإنسان نفســه وعمله وعبادته بثمن بخس. ورسم لـه معـالم الطــريق، طـريق البيع والشراء المعنـوي الــذي يتنـاول الجوانب الثـلاثــة على أحسن وجـه وأوضح بيان.

فأما قيمة الإنسان ومكانتـه في الأرض فهي تشريفه بخلافة

الله في الأرض، وتسلمه الأمانة الإلهية، فهو خليفة الله، ومستودع أمانته.

وأما في الشراء والبيع، فمعلوم أن الذي يشتري أعمال العباد الصالحة هو الله تعالى، الذي يقبل من الناس بضاعتهم معما صَغُرت وقَلّت بأثمان عالية وأسعار رفيعة. ويتجاوز عن عيوب أصحابها، ويستر سيّئاتهم وخطاياهم.

وأما مقدار الثمن ومستوى السّعر الذي قرّره الله للبائعي أنفسهم، فهو الجنة التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وهي السعادة الخالدة، والنعيم المقيم.

في دعاء أبي حمزة الثمالي، يقول الإمام السجاد(ع): «سيّدي أنا الصّغير الذي ربيته، وأنا الجاهل الذي علّمته، وأنا الضّال الذي هديته، وأنا الوضيع الذي رفعته، وأنا الخائف الذي آمنته، والجائع الذي أشبعته، والعطشان الذي أرويته، والعاري الذي كسوته، والفقير الذي أغنيته».

السبيل الثاني لاستحصال الإخلاص، هو في معرفة حقارة الدنيا وزوالها، التي يصفها القرآن بالمتاع القليل، وبضاعة

الغرور، وميدان اللّهو والغفلة.

إن القلب الإنساني يجب أن يكون بيتاً لحب أعظم محبوب، وهو الله تعالى، وأمّا أولئك الذين يشركون مع الله غيره في أعمالهم وعباداتهم، فسوف يرون فقر شركائهم وضعفهم وحقارتهم يوم القيامة، وستُبلى قلوب أهل الشرك والرّياء هناك، وتخرج ما فيها من خبائث وأوهام. وكم هم سُعداء أولئك الذين يدفعهم الخوف من فضيحة ذلك اليوم إلى تطهير أعمالهم من شوائب الشرك بمختلف ألوانها وأشكالها، وذلك الأمر لا يتحقق إلاّ بالمواصلة والمداومة على الإخلاص لكسب شهادة التخرّج من مدرسة التهذيب، جاء في الراوية الشريفة: *«من أخلص لله أربعين صباحاً ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»*،[1] الإخلاص ثمرة اليقين، ومن بنى إيمانه على أساس اليقين بالله والقيامة، والجنة والنار والحساب والكتاب، قضى عمره في رضى الله وطاعته.

علامات الإخلاص:

١ ـ عدم انتظار الأجر من الناس: إذا كان العمل لأجل

١) جامع السعادات: ج٣ ص ٤٠٤

الله، كـان الرّجـاء من الله فقط، وسـدّ أبـواب الطمع والترّجي لشكـر النـاس. فيمضي صـاحـب العمل المخلص بكل ثبـات وإصرار، سواء التفت إليه الناس أم لا. هـذه الحالة هي الدليل الواضح على خلـوص العمل. لقد نـزلت سورة ﴿هل أتى﴾ في شأن علي وفاطمة والحسن والحسين(ع)، إذ صاموا ثـلاثة أيام متواليـة بلا فطور ولا طعام سـوى الماء، وقدّموا كل مـا لديهم لثلاثـة أشخاص جـائعين، في اليوم الأول لمسكين، وفي اليـوم الثـاني ليتيم، وفي اليوم الثـالث لأسير. ومـا كان قـولهم إلاّ كما جـاء في القـرآن **﴿إنما نُطعمكم لـوجـه الله لا نـريـد منك جـزاءً ولا شكوراً﴾**[1]. هذا هو منطقَ الإخلاص والمُخلصين.

حينما يُقـدم المرء على مسـاعدة النـاس، وفي نفسـه رغبـة في إطلاع الآخـرين عليهـا، فإن هذه المسـاعدة تفتقـد الإخلاص والقـربـة إلى الله، وإذا امتعض إنسـان حين لا يذكـر إسمـه في قائمة المُتبرّعين، فلا بد وأنّ هناك خلل وشائبة في النيّة والغاية.

٢ ـ مراعاة التكليف، لا العنوان: كثيرة هي الأعمال التي لا تجد من يـؤديها وينجـزها، لا لشيء إلاّ لأنها مغمـورة ومُحقّـرة لدى عُرف الناس. ولو كان المقياس والمعيار هو أداء التكليف

---

١) الدهر: ٩

ـ وحَسب ـ لما بقيت مُهملة مطروحة.

٣ـ عدم النّدم: إنجاز العمل الصالح لا يحمل معه إلاّ الرضى والسرور، وليس فيه ما يبرر النّدم أو الأسف. العمل الصالح يساوي الثواب والأجر الإلهي. وهذه المعادلة لا يؤثر فيها موقف الناس، ورد فعلهم بأي وجه من الوجوه، فلو ذهب جماعة لعيادة مريض، أو مجلس عزاء، وصادف أنّ أهل العزاء لم تكن استجابتهم واحترامهم وتقديرهم لهذه الجماعة كما ينبغي، فلا داعي للإحساس بالألم والندم إن كان الهدف من الزيارة والعيادة هو القربة ورضى الله، أما في حال الندم والأسف فذلك إشارة وأمارة على وجود خلل في النية والغاية.

٤ ـ عدم التأثر بذوق الناس: وهذه علامة رابعة من علامات الإخلاص، وهي أن لا تجري الأعمال العبادية بما يتلاءم ورغبات واستحسان الناس وقبولهم، بحيث تصبح المقياس في تحديد ما يكون وما لا يكون. والعمل الصالح إنما هو ذلك الذي يؤديه صاحبه على ضوء القربة والطاعة لله، سواء أوافق ذوق الناس أم لا، لنقرأ في هذا

كلام أمير المؤمنين(ع): «*للمرائي ثلاث علامات: يكسلُ إذا كان وحده، وينشط إذا كان في الناس، ويزيد في العمل إذا أثني عليه، وينقص إذا ذُمّ*»[1].

٥ ـ **وحدة الظاهر والباطن**: هذه العلامة تعني أن تتطابق علانية المرء وظاهره مع سريرته وباطنه، لا كمن يبيعُ الشعير مُغلّفاً بالحنطة. فيكون ظاهر البضاعة غير باطنها وجوهرها. يقول الإمام علي(ع): «*من لم يختلف سرّه وعلانيته، وفعله، ومقالته، فقد أدّى الأمانة وأخلص العبادة*»[2]. هذه هي بعض العلامات في موضوع الإخلاص.

إن الإنسان المخلص يتمتع بقلب نُوراني، وبنجاح في العمل، وبالثواب الدنيوي والأخروي، والعاقبة الخيّرة، والمحبوبية وحُسن السُمعة لدى الناس، وهذا ما وعد الله عباده المخلصين، والله لا يضيع أجر من أخلص عملاً. إذن فلنتوجه ـ ونحن نُصلي ـ بكل إخلاص إلى الله، ولتكن صلاتنا مستجابة الدعاء[3]. ثواب صلاة لا يقتصر على الأداء فقط، بل إنّ في الجلوس في المسجد انتظاراً لها عبادة كذلك[4].

---

١) المحجة البيضاء: ج ٦ ص ١٤٤
٢) نهج البلاغة: رسالة ٢٦
٣) الوسائل: ج ٤ ص ١٠١٦
٤) الوسائل: ج ٣ ص ٨٥

صلاتكم، فمعلوم أنها حظيت بقبول الله ورضاه، وكذلك العكس إذا حصل العكس[1].

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

البسملة ليست مخصوصة في شريعة الإسلام فقط، بل هي: موجودة في كل الكتب الإلهية، (بسم الله) تطبع العبادة بالطابع الإلهي، وتصبغها بالصّبغة الإلهية. وقد كانت البسملة مفتاح عمل الأنبياء(ع)، فالنبي نوح(ع) ألقى سفينته في البحر باسم الله، وأرساها باسم الله. (بسم الله) هي رمز الحب الإلهي، والعبودية والثقة بالله، وهي نداء من الإنسان لربّه: إلهي أنت في ذكري وفكري أبداً، وذكرك هذا سلاح أُقاتل به الشيطان، وأهزمه.

﴿الحمد لله ربّ العالمين﴾

الله رب السماوات والأرض والكون جميعاً، جعل الجبال في

---

1) المحجة البيضاء : ج١ ص ٣٨٥

معان إسلامية رفيعة. الله أكبر، أي أكبر من أن يوصف، وأكبر من أنّ يستوعبه لسان ولا أذهان، هذا الشعار هو بوابة الصلاة ومَدخلها، وترجمان الحضور القلبي إلى فعل ونُطق.

الله أكبر، بمعنى علوّ الله على كل الكبار، وتعاليه على كل العظام، فهو أصل كل قدرة وعظمة، ومن يوكل أمره إلى الله ويتَوكل عليه، فلا يهاب سواه، ولا يَعتمد على أحد غيره.

وفي هذا الإفتتاح للصلاة يمتاز المسلمون عن الكفار والمشركين والضّالين، الذين يبتدىء بعضهم أعماله باسم الصّنم، وآخرون بالأنبياء، وبعض بالزعماء والرؤساء.

حينما يهتف المُصلي بهتاف (الله أكبر) في أول كل صلاة، فهو يُعبرّ في ذلك عن رفض القوى الطاغوتية، والوساوس الشيطانية، والإنجذابات المادية. وهكذا تصغر كل الأشياء في عين الإنسان حين يزداد معرفة لربه وخالقه ومعبوده، مثَلهُ في ذلك مَثلُ الطائرة التي كلما ازدادت تحليقاً وارتفاعاً في الفضاء، ازدادت به بنايات الأرض ومرتفعاتها ضآلةوصُغراً. يقول المرحوم الفيض الكاشاني: إذا وجدتم حلاوة المناجاة في

في محراب الصّلاة

ومن النية وآثارها، إلى صُلب الصلاة ومحتواها.

في الصلاة حركات وأذكار، تتضمن كل واحدة منها فلسفة خاصّة وسرّ معينّ ومفاهيم معنوية عالية، ولو اعتبرناها الهيكل البدني لهذه العبادة، فإن الحضور القلبي واستشعار ودرك رمز العبودية وأهميتها، ووعي جزئيات هذا العمل العبادي ومفرداته، يشكل العنصر الأساسي في بناء الصلاة، والحكمة العليا من ورائها.

إذ أن استيعاب مفاهيم الأذكار الواردة في الصلاة، وهضم معنى الأفعال والحركات فيها، يهيُء المُصلي نفسياً لمرحلة أخرى، هي مرحلة الخشوع القلبي، والخضوع البدني، والتوجه الباطني نحو الإله الأحد.

تكبيرة الإحرام:

(الله أكبر) هي تكبير ة الإحرام في الصلاة، وفي هذه العبارة

صــلاةً لا يوزايها إنفــاق بيت من ذهب[1]. ولتكن صــلاتنا في أول الوقت، وفي المسجد، وفي الجماعــة، صلاة ليس فيها كسل ولا فتــور ولا ملل، لأن ذكر الله فــوق كل شيء ﴿**ولذكــر الله أكبر**﴾[2].

١) الوسائل: ج ٣ ص ٢٦
٢) العنكبوت: ٤٥

الأرض أوتاداً، وخلق الشمس وجعل بينها وبين الأرض بُعداً متناسباً، خلق الإنسان وألهمه سبيل الحياة، وطرق سد حاجاته، أعطاه السمع والبصر والقدرة والفكر والغرائز، ووهبه ألطافاً كثيرة مَرئية وخفيّة. فما أجحد الذين ينكرون كل هذه النعم، ولا يكلّفون أنفسهم حتى بالشكر اللّساني، بل يذهبون أبعد من هذا حين يتمرّدون على حدود الدين ويعصون ربّ العالمين، هذا هو الجهل والظلم، وحقيقةً أنّ الإنسان ظلوم جهول.

الحمد لله، هو حصر كل الشكر والثناء لله وحده، الذي خلق كل شيء، وهداه إلى ما فيه سعادته وكماله. وانَّ الألسنُ لعاجزة مُتلكّئة عن إحصاء نعَمه وخيراته، فكيفَ يمكنها ــ والحال هذه ــ أداء الشكر له كما ينبغي ويليق؟

﴿ الرحمن الرحيم ﴾

إن الله تعالى رحمانية دائمة، ورحمة عمومية، إذ لا ترى أحداً محروماً من رحمة الله، التي يصل مداها وشعاعها إلى كل البشر، حتى المذنبين منهم، قد فتح لهم باب (التوبة) رحمةً بهم وحبّاً في

سعادتهم ونجـاتهم وإنقاذهم. إن رحمة الله من السّعـة بمكان، بحيث يُعَدّ اليأس منها من الذنوب الكبيرة، ﴿لا تقنطوا من رحمة الله إنّ الله يغفر الذّنوب جميعاً﴾[1].

وهل هناك رحمة أجمل وأوسع من أن يستر الله تعـالى ذنوب النّاس ويغفرها، ثم يُبدّل السيئات حسنات؟.

وقد يتصور البعض أنّ الرحمة هي في حلاوة الحياة، وما فيها من جوانب مُفـرحة، في حين أنّ الأمر يتعـدى ذلك إلى إعتبار حتى الـوقائع الصَّعبـة، والظروف المرّة ـ من مرض وفقر وألم وأمثـــــالها ـ مصاديق للرحمة الإلهية، من حيث كونها عبرة وموعظة لتنبيه الناس من غفلتهم، وتحذيرهم من الوقوع ـ أو الإستمرار ـ في مسير الغيّ والهوى.

﴿مالك يوم الدين﴾

إن مُلك الله لا يقتصر على الآخرة ويوم القيامة، بل لله ما في السموات والأرض، وهـو المبدئ والمُعيـد. وإنما خصّص هنا (يـوم الـدّين)، لأن المُلك الإلهي في ذلك اليـوم يبرز ويظهـر

---

١) الزمر : ٥٣

للمـلأ وللخلق بأجلى صـورة، وأكمل مشاهـدة، حيث الأمـر والحكم لله الواحـد الأحد، لا سواه، ﴿**والأمر يـومئذ لله**﴾[1]، ﴿**لمن الملك اليــوم، لله الــواحـــد القهّـار**﴾[2]. وبهذه الإشـارة والإناره لهذا اليـوم، يعيش المُصليّ ميدان ذلك المشهـد في قلبه، فيخشع لله ويخشى مـن الله ويــرتعش قلبـــه مـن هـــول ذلك الموقف.

كان الإمام السجاد (ع) حين ينتهي إلى هذه العبارة القرآنية ﴿**مالك يوم الدين**﴾ يظلّ يكرّرها حتـى تكاد روحه تخرج من بـدنـه. وهكـذا تـــزال قسـاوة القلـوب وتجُلى الأدران منهـا، وتنمحي عنها آثار الغفلة والتكبر والنسيان.

﴿إياك نعبدُ وإياك نستعين﴾

إلى هنـا تنتهي المقدمـة التي تضمنتهـا سورة الفـاتحة، وهي مقـدمة ضروريـة في إظهـار العبد عبـوديتـه، وبيـان حاجتـه، وطلب العـون والمُساعـدة. إذ ابتدأ الكـلام بالثنـاء والمدح، ثم بالإعتراف الراسخ الأكيد بربوبية الله وهدايته للكون، وحصر

---

١) الانفطار: ١٩

٢) غافر: ١٦

الثنـاء لله والحمد لـه وحـده. إلى أن وقف على أعتاب عظمتـه ورحمته، وهو يـرجو قضاء حاجته بهذه الجملـة القرآنية ﴿**إياك نعبـد**....﴾ أي أننـا عبيـــدك وعبـادك، طـــائعين وخــاضعين لمشيئتك، لا سـواك أحد يُعبـد، ولا معبـود يُطاع. أنت الإلـه، وأنت المعبود لا غيرك.

و﴿**إياك نستعين**﴾، لا معين لنا إلا أنت، ولا نستعين بشيء عـداك، حتى في عبـادتنـا لك نفتقـر إليك. ونأمل في تـوفيقك الذي لا تتم العبـادة إلاّ به، إذ بدونه لا يكـون مصير الإنسان، إلاّ الإنقياد للشيطان، والاستسلام لوساوسه.

إن الإستعـانة بـالله وطلب الاستطـاعة البـدنيـة، وسلامـة الجســـم ـ منه تعالى ـ أمر أساسي في القدرة على العبادة، وفي معـرفـة الـواجـب الشرعي وأداء التكليف. وعلى ضـوء هـذا يكون الوقوف في محراب العبادة اظهـاراً للعبودية والشكر لله، الذي بيـده أمرُ الصلاة وقبـولها، والإنسان ونجاحـه، والعبادة وأدائها، والطـاعات والإستقـامة عليهـا، والمنكرات وتجنبهـا، والكمالات والوصول لها.

حينما يقول العبـد ﴿**إياك نعبـد**﴾ يكـون قد رفض وكفـر

بعبادة قوى الشرق والغرب، ولم يَعُدّ يخاف سطوتهم، في نفس الوقت الذي لا تجذبه قوى الطمع إليها، ولا تشدّه الأموال والشهوات والمقام وأمثالها.

وعندما يقول﴿إياك نستعين﴾، فهو قد هتف ببطلان القوى المادية وحقارتها، وتوجّه إلى مركز ومنبع الفيض والقدرة.

﴿إهدنا الصرّاط المستقيم﴾

في زحمة الطرق، وفي غمرة المنعطفات الكثيرة في الحياة، لا يوجد سوى سبيل واحد يهدي إلى الله، ويوصل إلى السعادة والفلاح، هو الصراط المستقيم، هذا الصراط الذي تحتاج معرفته وسلوكه إلى هداية من الله، وتوفيق منه عزّ وجلّ. نقول: ﴿إهدنا الصراط المستقيم﴾، لأن الطرق الملتوية والمنحرفة طرق كثيرة منها: طرق هوى النفس، ووساوس الشيطان، والإفراط والتفريط، والأذواق الشخصية في تفسير الدين، أو تبعية الطواغيت، وغيرها من الطرق المنحرفة الضالّة.

أما الصراط المستقيم، وهو جادة الصواب، وسبيل الفلاح

فقد رسمه القرآن الكريم بأنه صراط الله، ﴿**إنّ ربيّ على صراط مستقيم**﴾[1]، وصراط أنبيائه ﴿**فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم**﴾[2]، صراط عبادة الله وطاعته ﴿**وأن أعبدوني هـذا صراط مستقيم**﴾[3]، صراط الأئمة المعصومين، صراط الصديقين والشهداء والصالحين.

وبديهي أن الحركة في هذا المسير الإلهي قد تتباين، من ظرف لظرف، ومن موقف لموقف، ومن شخص لشخص، إذ قد يتطلب (التكليف) الإلهي ممارسة نشاطات مختلفة، وليس بالضرورة أن يكون سير ومجرى الأعمال العبادية ثابتاً في كل الأحوال، ومن هنا فإن عملية تشخيص الصراط المستقيم في الظروف المختلفة، ليست بالأمر اليسير السّهل، فضلاً عما فيه من مصاعب خلال التطبيق والعمل، ومن هنا فلا بد من الإستعانة بالله في معرفة الصراط وفي طيّه والمسير فيه إلى النهاية، من أجل أن تكون أفكارنا وأعمالنا وأخلاقنا، ووظائفنا الإجتماعية والسياسية وسلوكنا في البيت وفي المجتمع مطابقة لصراط الله.

وفي تفسير الصراط المستقيم نقرأ قول الإمام الحسن

---

١) هود : ٥٦
٢) الزخرف : ٤٣
٣) يس : ٦٢

العسكري (ع): «*الصراط المستقيم هو صراطان: صراط في الدنيا، وصراط في الآخرة، فأما الصراط المستقيم في الدنيا فهو ما قصر عن الغلو، وارتفع عن التقصير، واستقام فلم يعدل إلى شيء من الباطل. وأما الطريق الآخر، فهو طريق المؤمنين إلى الجنة*»[1].

ويقول الإمام الصادق (ع) في تفسير آية ﴿**اهدنا الصراط المستقيم**﴾: (*ارشدنا إلى الصراط المستقيم، ارشدنا للزوم الطريق المؤدي إلى محبتك والمبلّغ إلى دينك، والمانع من أن نتّبع أهواءنا فنعطب*)[2].

وهكذا لا مناص من الرجوع إلى الدين لتشخيص معالم الصراط المستقيم، وطلب التوفيق من الله عزّ وجلّ.

﴿صراط الذين أنعمت عليهم﴾

وفي هذه الآية توضيح مختصر للصراط، إذ وُصف هنا بأنه صراط الذين أنعمت عليهم، نعمة الهداية والتوفيق، ونعمة العلم والجهاد والشهادة، ونعمة القيادة الدينية، وغيرها من النَّعم: ﴿**من يُطع الله والرّسول فأولئك مع الذين أنعم الله**

---

١) بحار الانوار: ج ٢٤ ص٩
٢) بحار الانوار: ج ٢٤ ص٩

عليهم من النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين وَحُسنَ أولئك رفيقاً﴾[1].

وقد جاء في بعض الروايات، أن صراط الذين أنعمت عليهم، هم الأئمة(ع)[2]. هذا وإنّ عرض الآية الكريمة للصراط المستقيم بطريقة الرّجاء في الهداية إليه، هو بمثابة عملية تلقين واعية للخط الفكري والعملي الصحيح.

﴿غير المغضوب عليهم ولا الضّالين﴾

رفض لصراط الفراعنة، والطواغيت والمستكبرين والأثرياء المتجبرين، والعلماء الفاسقين. رفض لصراط المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات، الذين تقول فيهم الآية الشريفة: **﴿ويُعذّب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظّانّين بالله ظنّ السَّوء عليهم دائرة السَّوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعدّ لهم جهنم وساءت مصيرا﴾**[3].

إنه رفض وكفر بصراط أولئك الذين غضب الله عليهم، وصراط المنحرفين الضّالين، الذين زلّت أقدامهم عن جادّة

---

١) النساء : ٦٩
٢) بحار الانوار : ج ٢٤ ص ٣٠ وما بعدها
٣) الفتح : ٦

الحق، وسقطوا في طريق الضّلال والفساد. أعاذنا الله منها، وجعلنا من جملة عباده الصالحين.

سورة التّوحيد

سورة التوحيد تشرع بالبسملة أيضاً، ثم تتناول مفاهيم ومعارف الوحدانية، والمقدرة والغنى الإلهي، إلى أن تنتهي بمجموعة صفات إلهية أخرى.

سورة التوحيد تتضمن توحيد الله سبحانه في الخلق والربُوبيّة والمالكية والحاكمية والإغاثة والغنى.

ما هو معنى ﴿**اللهُ الصَمَد**﴾؟.

الصَّمد، هو الذي يحتاجه المحتاجون. والصَّمَد هو المُنزَّهُ عن كل صفة بشرية، عن الخطأ والغفلة والنسيان والنوم والطعام والولادة والإنجاب وغيرها[1]، ﴿**ليس كمثله شيء**﴾[2]، فهو ليس كما يقول النصارى بأن عيسى ابنه، ولا كما يزعم اليهود بأن (عُزيراً) ولده، ولا هو سبحانه قد اتخذ

1) بحار الانوار: ج ٣ ص ٢٢٣
2) الشورى ١١

الملائكة بنات له، كما يتوهّم المشركون.

الله سبحانـه منزّه عن كل تكل الأباطيل، فهو الإلـه الذي لم يلد، ولم يولد، وليس له شبيه ولا نظير، ﴿**ليس كمثله شيء**﴾، ولا في الكون قوة ولا قدرة كقدرته وقوته.

هـذه هي سورة التـوحيد، التي نقـرؤها في الصـلاة، حيث نكون متّجهين نحـو القبلة بأبـدان مستقرة، وفكـر خالص في ذكـر الله، وشعـور واعٍ بـالعبـوديـّة والطـاعـة، وقلب مملـوء بالخشوع والتضرع، ونفس حالها التـواضع واستشعار العظمة الإلهيـة. ويـا لـه من موقـف رائع، موقف عبـد أمـام المعبـود، مخلـوق في محضر الخالق، محتـاج في سـاحـة الغنى الإلهي. إنـه موقف اللاشيء أمام كل شيء.

لو هيمن مثل هذا الإحساس على الإنسـان وهو في صلاته، فهل من الممكـن أن يتّجـه القلب والجوارح إلى شيء أو أمـر آخـر، ويغفل عن الله؟ لقـد علّق الرسـول الأكـرم (ص) على مشهد رَجل يُصلي وهو مشغـول بلحيته، فقال(ص): «*أما أنه لو خشع قلبه لخشعت جوارحه*»[1].

---

١) بحار الانوار: ج ٨٤ ص ٢٢٨

الرّكوع:

الركوع ترجمة عملية لتعظيم الله، وإظهار الطاعة والعبودية له. الركوع، هو إعلان الإنسان عن استعداده على قطع رأسه في سبيل الله. يقول الإمام الصادق(ع): «*وفي الرّكوع أدب، وفي السجود قُرب، ومن لا يُحسن الأدب لا يصلح للقُرب*»[1]، وعنه(ع): «*إنّ علياً(ع) كان يعتدل في الركوع مُستوياً، حتى يُقال لو صُبّ الماء على ظهره لاستمسك، وكان يكره أن يحدر رأسه ومنكبيه في الركوع*»[2]. الإمام الصادق(ع)، كان يكرر ذكر الله في الركوع والسجود أكثر من ثلاثين مرّة.

إن الركوع ركن من أركان الصلاة، تَبطلُ بنسيانه عمداً أو سهَواً. وفي كل ركعة صلاة ركوع واجب، إلاّ صلاة الآيات، التي في كل ركعة منها خمس ركوعات، وصلاة الميّت التي ليس فيها ركوع. الركوع مزيج من الفعل والذّكر، من الحركة واللّفظ، وهو تعبير عيني عن تواضع العبد وخضوعه لربّه، إذ يقول وهو مُنحنياً (سبحان ربيّ العظيم وبحمده).

---

١) بحار الانوار : ج ٨٢ ص ١٠٨
٢) بحار الانوار : ج٨٥ ص ١١٨

إن بعض الملائكة في ركوع دائم، وحينما يهوي المُصليّ راكعاً يكـون قد وقف مـوقفـاً مُوحـداً ومتنـاسقاً معهم، في صـورة عبادية رائعة، ومشهد عبُودي عظيم.

السجود:

وهو من أركـان الصلاة أيضـاً. ولا يجوز لأحد غير الله، إلاّ بأمر الله عزّ وجـلّ، كما في سجود الملائكة لآدم(ع)، ومثل هذا السجود هو في حقيقة الأمر امتثال لله وطاعة لأمره.

السجـود تـذلّل وتصـاغر وتـواضع أمـام الله، وكل مـا في الكون حقير أمام الله، ساجد في ساحة عظمته وكبريائه ﴿**ألم تر أن الله يسجـد لـه مـن في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمـر والنجـوم والجبـال والشجـر والـدّواب وكثير من الناس**﴾[1].

السجود تسبيح لله. وتنزيـه له من كل عيب وضَعف ، ومن كل خصيصة بشرية، ومن كل شيء يخضع لمسـاحة دائرة الفكر والذهن البشري، وهـو أعلى درجات العبـودية والطاعـة، لذا فمن الواجب أن يُـؤدي بقلب ونفس متذلّلة خـاشعة منكسرة

---

١) الحج : ١٨

متواضعة.

ورد عن الإمام الصادق(ع) قولـه: *«كان علي بن الحسين (ع)، إذا قـام في الصلاة تغيرّ لـونه، وإذا سجـد لم يرفع رأسـه حتّى يـرفَضَّ عرقـاً»*[1]، وفي كتـاب الفقيه: «كـان أبـو الحسن موسى بن جعفر(ع) يسجد بعد ما يُصليّ، فلا يرفع رأسه حتى يتعالى النّهار»[2].

ونقرأ في القـرآن أوصاف أصحاب الرسـول الأكرم (ص): **﴿تراهم رُكّعاً سُجّداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً﴾**[3].

وعن الرسول (ص): *«أكثر السّجود، فإنه يحُطّ الذنوب كما تحطّ الريح ورق الشجر»*[4].

السجود أشـدّ الأشكال العباديـة إيذاء وألماً في عين إبليس، فقد كان تكبرّه عن السجود، سبباً في طردهً من المحضر الإلهي، وملاحقته باللّعنة الأبديّة.

وما أفضل السجـود، حينما يكون على تـربة كربـلاء، التربة التي احتضنت أجساد قـافلة الشهادة والفِـداء والتضحية، من

١) المحجة البيضاء: ج١ ص٣٥٢
٢) المحجة البيضاء: ج١ ص ٣٤٥
٣) الفتح ٢٩
٤) بحار الانوار: ج٨٥ ص ١٩٩

سيد الشهداء (ع) وأصحابه وأهل بيته البرَرة.

سُبحان الله:

هذا الذكر الرّفيع المليء بالمعاني والمضامين، قد ورد في جميع أشكال العبادات الإلهية، من دُعاء، وسجود، وركوع ومناجاة وغيرها، وهو تعبير عن حقيقة جارية في مختلف مواضيع الفكر الإسلامي، والعقيدة الإسلامية. وهو أساس ارتباط الإنسان بالله وعبادته وطاعته.

وعلى ضوئه يُفسرّ الكمال في صفات الله، ويُفهم التوحيد، إذ أنّ روح التوحيد هي تسبيح الله وتنزيهه عن شتى ألوان العيوب والنقص. وكذلك يفسر العدل، إذ أن من معاني التسبيح هو القول والإعتقاد بنزاهة الله من كل ظلم وإجحاف وعدوان.

أما النّبوة والإمامة، فأساسها التسبيح أيضاً، أي تنزيه الإله من أن يترك النّاس في ضلال وضياع عقائدي وفكري ولا يُرسل إليهم رسُلاً للهداية والولاية.

والمعاد الذي هو الأصل الثالث من أصول الدين يقوم على قاعدة التسبيح كذلك، فالتسبيح هو تنزيه الله من ظلم الناس

وبخس حقوقهم، والمساواة في مُعاملة المُحسن والمُسيء منهم فتذهب حسنات المُحسنين وسيئات المُسيئين، بلا أثر ولا حساب. والحق أن الله تعالى الذي أرسل الأنبياء(ع) ضمن قافلة تاريخية تمتد آلاف السنين، لم تكن حكمته في ذلك مجرد تنظيم حياة البشر الدنيوية وإصلاحها، وإنما الهدف أعظم وهو العودة في الحياة الآخرة، التي ينال فيها الناس أجرهم وجزاءهم. وهو ما يشكل جزءً مُهماً من العقيدة الإسلامية ذات الأصول الدينية العظيمة.

إن العبد المُسّبح لله تعالى هو العبد المُحب له سبحانه، والتسبيح أساس الحبّ والرضى والطاعة والعبودية والخضوع والتوكل والتقوى والعبادة، وكلّها معارف دينية ومفاهيم إسلامية راقية عالية، أساسها وروحها الإعتقاد التام لدى الإنسان العابد بنزاهة وكمال وعظمة وحكمة وتدبير وقدرة الله تعالى.

لقد احتلّ التسبيح حيّزاً مهماً في دائرة الأوامر الإلهية التي أُمر بها رسول الله(ص) ، فقد وردت هذه الكلمة بصيغة الأمر ستَ عشرة مرة في القرآن، من قبيل: ﴿وسبّح بحمد ربّك قبل

طلوع الشمس وقبل غروبها ومن آنائي اللّيل فسبّح وأطراف النّهار﴾[1].

﴿وسبّح بحمد ربّك بالعَشيّ والإِبكار﴾[2].

﴿ومن اللّيل فسبّحه وإدبار النجوم﴾[3].

وروي عن الإمام السجاد (ع) قوله في تفسير التسبيح: «*هو تعظيم جلال الله عزّ وجلّ، وتنزيهه عما قال فيه كل مشرك، فإذا قالها العبد صلّى عليه كُلّ مَلَكَ*»[4].

ولهذا ترى أولياء الله لا يفترون عن التسبح والذكر، وهم يلهجون بحبّ ربهم وتقديسه وتعظيمه. وها نحن نضم صوتنا إلى أصوات الكائنات بقلب ولسان صادق لنقول: (سبحان الله).

القنوت:

القنوت في الصلاة، هو التضرّع، وعرض الحاجة في محضر ربّ العالمين، وطلب قضائها منه تعالى.

١) طه : ١٣٠
٢) غافر : ٥٥
٣) الطور : ٤٨
٤) توحيد الصدوق : ٣١٢

والقنوت عمل عبـادي فيه استحباب مؤكـد، وأجر عظيم. ومعنـاه: الطاعـة، والـدعـاء، والتوجّـه , والخشـوع. ليس في القنوت دعاء مُحدّد، ولا ذكر مخصـوص. وقد رُوي عن رسول الله(ص) قوله: «*أطولكم قنـوتاً في دار الدنيا، أطـولكم راحة يوم القيامة في الموقف*»[1]، ومن هنا فإن الصّلاة المُثلى هي تلك التي تتضمن قنوتاً طويلاً، ودعاءً كثيراً، ومناجاة خاشعة.

التّشهُد:

هـو الجلوس بعـد نهايـة كل ركعتي صلاة ، وفي أنتهـاء كل صلاة، والشهادة بوحـدانية الله، ونبوّة محمد (ص)، ثم الصلاة والســلام على النبي وآلــه. وفي هــذا التكــرار للمضــامين والشعـارات العقائديـة غايـة جميلة وهـدف كبير، هو تـرسيخ الفكر العقـائدي، ومواصلة المسير في الطـريق الإلهي، وتجديد البيعـة لله ورسولـه. والـذي يُلحظ في هذا العمل العبـادي أن الشهادة بعبودية النبي (ص) لربّه، قد سبقت الشهادة برسالته ونبوّته، ممّـا يعني أن العبودية أعظم من النبوّة، فـرسول الله، ما

١) بحار الانوار: ج ٨٥ ص ١٩٩

صار رسولاً لو لم يكن عبداً لله.

إن الصلاة على النبي وآله من الواجبات في الصلاة، وصيغتها اللّفظية هي: (اللهم صلّ على محمد وآل محمد)، وفي فضلها وثوابها نكتفي بالأحاديث الثلاثة التالية:

عن النبي (ص)، أنه قال: «*أكثروا الصلاة عليّ، فإن الصلاة عليّ نور في القبر، ونور على الصراط، ونور في الجنة*»[1].

وقال (ص): «*البَخيل حقّاً من ذُكِرتُ عنده فلم يُصلّ عليّ*»[2].

وعنه (ص): «*صلاتكم عليّ مجوزة لدعائكم، ومرضاة لرّبكم، وزكاة لأبدانكم*»[3].

السّلام:

السلام: بمعنى السلامة، والخير، والبركة والأمان. (السلام) من أسماء الله. وسلامنا على رسول الله في الصلاة، هو علامة أدب، ودليل احترام وتقدير. وصيغة هذا السلام

---

١) مستدرك الوسائل: ج٥ ص ٥٤
٢) الوسائل: ج٤ ص١٢٢٠
٣) بحار الانوار: ج٩١ ص ٦٤

هي «السـلامُ عليك أيهّا النبي ورحمة الله وبــركـاتـه». وهـذه التحية تثمين لما عانى وواجه(ص) من مشقّة ومشكلات، وما أبلغ وأدّى من أمانة الرسالة، وللجهد والجهاد، الذي بذله من أجل أن يكون الناس مسلمين مؤمنين.

ثم نقرأ في السلام هاتين العبارتين (السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته). السلام تحية أهل الجنة ﴿**تحيّتهم فيها سلام**﴾[1]، السلام تحية الملائكة لأهل الجنة ﴿**سلام عليكم بما صبرتم**﴾[2].

حينما يقرأ المُصلي هـذه التحية (السلام علينـا وعلى عباد الله الصالحين) يمتلكه إحساس بالإطمئنـان والإرتياح، وهو يرى نفسه ضمن هـذا الجمع المؤمن الصّالح، في إطـار هذه القـافلة المباركة، في هذا البحر الطـاهر من العباد المّتقين، لتنتهي بذلك الصـلاة، حيث ينقضي الـوقت الرسمي لهذا اللّقـاء المعنـوي، الذي تعقبه أدعية وتعقيبات مُتمّمة لها، سوف نتناولها في بحث مختصر مجُمل:

---

١)ابراهيم : ٢٣
٢) الرعد : ٢٤

تعقيبات الصلاة

من كمال الصلاة وجمالها، أن يجلس المُصليّ، وقد أنهى صلاته ليذكر الله تعالى ويحمده، ويستعينه، ويقرأ شيئاً من المستحبات، ليكون في عمله هذا قد حافظ على الصورة المعنوية للصلاة، والهيئة الجميلة للعبادة والطاعة، وهو وداع مُؤدب ورائع لهذه العبادة الكريمة، مثلما أن الأذان والإقامة لون من ألوان الإستقبال لها. وهذا من شأن الضّيف المؤدّب، الذي يصرف جزءاً من الوقت ـ قبل الطعام وبعده ـ وهو يجالس صاحب البيت ويحاوره.

إن استقبال الصلاة استقبالاً لائقاً، وتوديعها كما ينبغي ويليق بها، مؤشر ودليل على العناية والعلاقة والحب لها، تقول الآية الكريمة: ﴿**فإذا فرغت فانصب وإلى ربّك فارغب**﴾[1] فبعد انتهاء الفريضة والعبادة الواجبة، يأتي دور الدّعاء، والمناجاة المُستحبة.

وقد روي عن الإمام الصادق (ع) قوله: *يُستجاب الدّعاء في أربعة مواطن: في الوتر، وبعد طلوع الفجر، وبعد الظهر، وبعد المغرب*»[1].

---

١) الانشراح : ٧

٢) مستدرك الوسائل : ج١ ص٣٣٦

هـذا، وقـد وردت في كتب الأدعية مجمـوعـة من الأذكـار والأدعية والأعمال المستحبـة في خصوص التعقيبـات، تُطلب من مصادرها.

تسبيح الزّهراء (ع):

من التعقيبات المهمة بعد الصلاة تسبيح الزهراء (ع)، الذي تعلّمته فاطمة الزهراء(ع) من أبيها(ص)، وهو بالشكل التالي: أن تقـول **٣٤** مـرة الله أكبر، و**٣٣** مـرة الحمـد لله، و**٣٣** مـرة سُبحان الله.

ولمعرفـة أهمية وفضيلـة هذا التسبيح نقـرأ هذه الـرواية عن الإمـام الباقـر(ع): «*مـا عُبد الله بشيء من التحميـد أفضل من تسبيح فاطمـة الزهراء(ع)، ولو كان شيء أفضـل منه، لنحله رسول الله(ص) فاطمة (ع)*».[1]

وقد ورد عن الإمـام الصادق (ع) في حديث مضمـونه أن هذا التسبيح أفضل عند الله تبارك وتعالى من ألف ركعة صلاةً مستحبة.

---

١) مستدرك الوسائل: ج٥ ص ٣١

وفي هذا الصدد نشير إلى قيمة وأهمية السّبحة المعمولة من تربة قبر الإمام الحسين (ع)، التي ورد فيها أن المُسبّح ينسى التسبيح، ويدير السبحة فيكتب له التسبيح[1]. هذا في التسبيح أما في السجود على الأرض، فهناك تأكيد في الروايات الواردة عن الأئمة(ع) على فضيلة تربة سيد الشهداء(ع).

إن هذه التربة فيها عبرة وموعظة في تذكير الإنسان وتربيته على الثقافة الجهادية الاَستشهادية، تلك الثقافة التي جسدها الحسين(ع) تجسيداً عملياً في التضحية بنفسه وأهله وأصحابه في سبيل الله عزّ وجلّ. هذا، وقد جاء تسبيح الزهراء(ع) في كتب أهل السُنة كذلك[2].

إنّ الأمر المهم في تسبيح الزهراء(ع)، هو مسألة التدبّر والتأني والتوجه وفهم المعاني، وليس مجرد التلفّظ والنطق السرّيع، حيث بمقدار ما تُقرأ بوعي ووقار وإدراك، يكون الثواب والأثر والتأثير.

١) جواهر الكلام: ج١٠ ص ٤٠٥
٢) صحيح مسلم: ج١ ص ٤١٨ صحيح البخاري ج١ ص ١١٠ سنن ابن ماجة ج١ ص ٢٩٩

سجدة الشّكر:

وهي من التعقيبات أيضاً، وهي عمل عبادي عظيم، يشكر فيه ربّه على ما أنعم وتلطّف وأعطى، قائلاً (شكراً لله، حمداً لله). وقد أكدّت الأحاديث الشريفة كثيراً عليها، من جملتها هذا الحديث الشريف: *«إن العبد إذا سجَد وقال: يا ربّ، يا ربّ، يا ربّ، حتى ينقطع نَفَسهُ قال له الرّب تبارك وتعالى: لبّيك ما حاجتك»*[1].

ولا يشترط في سجدة الشكر قول وذكر مُعينّ، إذ أن مجرد وضع الجبين على الأرض، بنيّة الإقرار والإعتراف بنعم وعطاء الله وتوفيقه على العبادة والطاعة، يعتبر سجود شكر.

وعن سجدة الشكر وثوابها يقول الإمام الصادق (ع): *«سجدة الشكر واجبة على كل مُسلم، تتمّ بها صلواتك، وترضي بها ربّك، وتعجب الملائكة منك، وإنّ العبد إذا صلىّ، ثم سجد سجدة الشكر، فتح الربّ تبارك وتعالى الحجاب بين العبد وبين الملائكة، فيقول: يا ملائكتي أُنظروا إلى عبدي أدّى فرضي، وأتمّ عهدي، ثم سجد لي شكراً على ما أنعمت به*

---

١) المحجة البيضاء: ج١ ص ٣٤٧

عليه. ملائكتي ماذا له عندي؟ قال: فتقول الملائكة: يا ربنا رحمتك، ثم يقول الرّبّ تبارك وتعالى: ثم ماذا؟ فتقول الملائكة: يا ربّ جنتك.... فيقول الله تبارك وتعالى: أشكر له كما شكر لي، وأقبلُ إليه بفضلي، وأُريه وجهي»[1].

صلاة الجمعة:

في قسم من العبادات في الإسلام جوانب سياسية واجتماعية، مُضافاً لما تحمله من مضامين روحية ومعنوية، وخصوصاً العبادات التي تقام جماعة وعلانية، كصلاة الجمعة، هذه العبادة التي لها مكانة مقدسة ومكرّمة، من حيث أنها من مظاهر عظمة الإسلام، وهيبة المسلمين، ورمز من رموز الوحدة الإسلامية، وسلاح من أسلحة مقاتلة الأعداء.

في هذه الصلاة آثار اجتماعية وسياسية كثيرة في حياة الفرد وفي المجتمع.

تتألف صلاة الجمعة من ركعتين وخطبتين لإمام الجمعة، ويطرح في الخُطبتين موضوع التقوى، والمواضيع الأخلاقية،

١) المحجة البيضاء: ج ١ ص ٣٤٨

والتربوية، وهي من واجبات الخطبة، مع تناول قضايا الناس، ومشكلات المجتمع الإسلامي، والأمور السياسية والإجتماعية للمسلمين، وعرض الأخطار والمؤامرات التي تهدد الإسلام والمسلمين، والتحذير منها، وغير ذلك من الأمور الضرورية، التي فيها صَلاح الحاضرين، وقد ورد في الاسلام حث مؤكد على اهمية المشاركة في هذه الصلاة إلى درجة يُوضّحها رسول الله(ص) بقوله: «*من ترك ثلاث جُمَع مُتعمّداً من غير علّة، طبع الله على قلبه بخاتم النّفاق*»[1]، وفي محل آخر قال(ص) لشخص اسمه قُليب: «*يا قُليب، عليك بالجُمعة، فإنها حج المساكين*»[2].

صلاة الجمعة هي ذكرُ الله، ﴿**يا أيها الذين آمنوا إذا نُودي للصلاة من يوم الجُمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذَروا البيع**﴾[3].

وفي يوم الجمعة عطلة المسلمين، لكي تكون فرصة لهم ينصرفون فيها إلى النظافة والإستراحة، إلى جانب الرياضة والنشاط المعنوي والتربوي والسّياسي.

إن مشهد صلاة الجمعة العظيم، يثير غيظ الأعداء، ويحُطّم

---

١) الوسائل : ج٥ ص٦
٢) الوسائل : ج٥ ص٦
٣) الجمعة : ٩

آمالهم في إضعاف المسلمين وتفـريقهم، ويزرع اليأس والخوف في نفس الشيطـان الذي يـؤلمه كثيراً هذا المنظـر المبارك، يقـول الإمـام الخميني (رضـوان الله عليــه): (أوصيكم بـالإجتماع، وإقـامـة صـلاة الجمعـة بما يليـق بها من العظمـة والكـرامـة، وكذلـك الصلوات اليوميـة، لأن الشيطان يخاف مـن الصلاة، ويخاف من المسجد)[1].

صلاة الاستسقاء:

تقام صلاة الإستسقـاء في ظروف خاصة أيـام القحط وقلّة المطر، وفيها يـدعو الناس ربهّم لإنزال المطـر. ولا بأس هنا أن نقـرأ مـا كتبـه الإمام الخميني (رضـوان الله عليـه) في (تحريـر الوسيلة): (صـلاة الاستسقاء، صلاة مستحبة، تقـام في موسم قلّة ماء الأنهرُ وانعـدام المطر. وهذا الجفاف هـو من نتائج كثرة الـذّنـوب، ونكـران النعّمـة، والاعتـداء على حقـوق النـاس، والظلم، والغش، والمكـر والخديعـة، وتـرك الأمر بـالمعـروف والنهي عن المنكـر، ومنع الـزّكاة، والحكـم بغير ما أنـزل الله،

١) صحيفة النور: ج ١٢ ص ١٤٩

وغير ذلك من الذنوب التي تُغضِب الله)[1].

وتتكون صلاة الاستسقاء من ركعتين، وتُقرأ جماعة، في كل ركعة تقرأ سورة الحمد وسورة أخرى، وفي الركعة الأولى خمس تكبيرات، وفي الثانية أربع. وقنوت واحد بعد كل تكبير في كل ركعة، ومن الأفضل أن يُقرأ في القنوت دعاء بنزول المطر.

ومن آداب هذه الصلاة: الجهر بقراءة سورة الحمد والسورة الثانية، الصيام ثلاث أيام بحيث يكون يوم الإثنين أو الجمعة هو اليوم الثالث منها، ذهاب إمام الجماعة والمصلّين إلى الصحراء في وقار وخشوع وتضرع في هيئة المحتاج المسكين، ويصطحبون معهم المؤذنين والمنبر والشيوخ والأطفال والحيوانات، ثم يفصلون بين الأمهات وأطفالهم، فيكثر البكاء والصرّاخ، ليكون سبباً لنزول الرّحمة.

وبعد إقامة الصلاة يقوم إمام الجماعة بتغيير موضع ردائه، فيجعل الجزء الأيمن محل الأيسر وبالعكس، ويكبرّ عالياً مئة مرة إلى جهة اليمين، ثم يسبّح مئة مرة باتجاه الشّمال، ويشكر

---

١) تحرير الوسيلة

الله ويحمده مئة مرة، والناس معه يشاركون في هذه الأذكار، ثم يدعو، والنـاس يدعون، ويقولـون: آمين. ويكثر من الشكوى والإستغاثـة والتضرع إلى الله. ويفضل الإستفادة مـن الأدعية المنقولـة عن الأئمة(ع) ، كالـدعاء التـاسع عشر من الصحيفة السجادية، ودعاء الإمام علي(ع) في الاستسقاء.[1]

ومن جملـة صـلاة الاستسقاء المعـروفـة، هي الصـلاة التي أقامها المرحوم آية الله العظمى السيد محمد تقي الخوانساري في قم والتي حضرها جمع من الأجانب الإنكليـز، حيث شاهدوا بأمَّ أعينهم نـزول المطر، وبـان عليهم التأثر الكبير لهذا المشهـد العظيم.

إن إنكسار القلب وخشوعه وإخلاصـه وإنابته وتوجهه إلى الله، سبب من أسبـاب رحمة الله بالنـاس، هذه الـرّحمة، التي لا تختص بخلق دون خلق، بـل تشمل كل مخلـوقــات الله، فقـد يتلطف الله بمطر الرحمة، رأفة منه بالحيوانات، فيعم الخير حال الجميع.

وهذا ما تُـؤيده القصة التاليـة الوا ردة في الحديث الشريـف:

---

١) مستدرك نهج البلاغة : ج٦، ص ٢٦٨

«إن سليمان بن داوُد(ع) خــرج ذات يــوم مع أصحــابـه ليستسقي، فوجـد نملة قد رفعت قائمة مـن قوائمها إلى السّماء وهي تقول: اللهم إنّـا خلق من خلقك لا غنى بنا عن رزقك، فـلا تهلكنـا بـذنـوب بني آدم، فقـال سليمان(ع) لأصحـابـه: ارجعوا، فقد سُقيتم بغيركم»[1].

هـذه قصـة، وإليكم قصـة ثـانيـة، في روايـة عـن الإمـام الصادق(ع): «جاء أصحـاب فرعون إلى فـرعون، فقالـوا له: غار ماء النّيل، وفيه هلاكنـا، فقال انصرفوا اليوم، فلّما كان من اللّيل، توسّـط النيل، ورفع يديه إلى السماء، وقـال: اللّهم إنك تعلم أني أعلمُ أنـه لا يقـدر على أن يجيء بالماء إلاّ أنت، فجئنـا به، فأصبح النّيل يتدفّق»[2].

صلاة العيد:

صلاة العيدين: عيد الفطـر، وعيد الأضحى من الصّلوات المستحبـة، وتتكـون من ركعتين، وتسع تكبيرات، خمس في الركعة الأولى، وأربع في الثانية، وذلك قبل الركوع ، وبعد كل

---

١)من لا يحضره الفقية : ج١ ص٥٢٤
٢) من لا يحضره الفقية : ج١ ص٥٢٦

تكبير قنوت ودعـاء. وتُقام صـلاة عيد الفطـر في أول يوم من شهر شـوّال، بعد صوم شهر رمضـان، لتكون بمثابـة شكر لله على توفيقه في أداء فريضة الصوم.

في رواية عن الإمام الباقر (ع)، وهو يحدّث الصّحابي جابر الأنصاري: *«إذا كان أول يوم من شهـر شوال، نادى مناد: أيها المؤمنون، أغـدوا إلى جوائزكـم، ثم قال: يـا جابـر، جوائز الله ليست بجوائز هؤلاء الملوك، ثم قال: هذا يوم الجوائز»*[1].

وعن عيد الفطـر أيضاً يقول الإمام الـرضا(ع): *«إنما جُعِل يـوم الفطر، العيـد، ليكـون للمسلمين مُجتمعـاً يجتمعون فيـه، ويبرزونَ لله عزّ وجلّ، فيمجّـدونه على مـا منّ عليهم، فيكون يـوم عيد، ويـوم اجتماع، ويوم فطـر، ويوم زكـاة، ويوم رغبـة ويوم تضرّع»*[2].

وعن الإمام علي (ع) نقرأ *«أيها النّاس، إنّ يومكـم هذا يوم يثـاب فيه المُحسنـون، ويخسر فيـه المُسيئـون، وهو أشبـه بيـوم قيامتكم، فـاذكروا الله بخروجكم من منـازلكم إلى مُصّلاكـم، خـروجكم من الأجـداث إلى ربّكـم، وأذكـروا بـوقـوفكم في*

1) الوسائل : ج٥، ص ١٤٠
2) الوسائل : ج٥، ص ١٤١

مُصلاّكم وقوفكم بين يدي ربكم، واذكروا برجوعكم إلى منازلكم رجوعكم إلى منازلكم في الجنة والنّار».[1]

إن حضور الإنسان في جمع المُصلّين في يوم العيد، هو انضمام إلى بحر كبير من المسلمين، في تضرّع جماعي، ترتفع فيه أصوات الدعاء، في حالة معنوية خاصة، وروح صميمية أخوية في صف عبادي مُنظّم، وقلوب خاشعة طائعة، قد أدّت فريضة عبادية في صوم شهر رمضان، أو في حج بيت الله، ليردّدوا في قنوتهم هذا الدّعاء المبارك (اللّهم أهل الكبرياء والعظمة، وأهل الجود والجبروت، وأهل العفو والرحمة، وأهل التقوى والمغفرة، أسألك بحقّ هذا اليوم، الذي جعلته للمسلمين عيداً، ولمحمّد صلى الله عليه وآله ذُخراً وشرفاً وكرامةً ومزيداً، أن تُصليّ على محمد وآل محمد، وأن تدخلني في كلّ خير أدخلتَ فيه محمّداً وآل محمّد، وأن تخرجني من كل سوء أخرجت منه محمداً وآل محمد صلواتك عليه وعليهم، اللّهم إني أسألك خير ما سألك به عبادك الصّالحون، وأعوذ بك ممّا استعاذ منه عبادك المُخلصَون).

---

١) الوسائل: ج٥ ص١٤١

الصلوات المُستحبّة:

إن ميـزان العبـادة والطـاعـة من حيث الكم والكيف، هـو انعكـاس وظلّ لمستوى إيمان العبـد وحُبّـه لـربّه. والصلـوات المُستحبـة مصَـداق من مصـاديق ذلك الإيمان والحبّ. وهـذه الصلوات التي تسمى (النـوافل) كثيرة، منها النوافل اليـومية، وهي كالآتي:

نافلة صلاة الصّبح، ركعتان قبل صلاة الصّبح. نافلة صلاة الظهر، ثمانيـة ركعات قبل صـلاة الظهر. نافلـة صلاة العصر، ثمانية ركعـات قبل صلاة العصر. نـافلة صلاة المغـرب، أربعة ركعات بعد صلاة المغرب. نافلة صلاة العشاء، ركعتان جالساً بعـد صلاة العشـاء. نافلـة اللّيل (صلاة اللّيل، إحـدى عشرة ركعة قبل أذان الصّبح ثمانية منها نـافلة الليل، وركعتان شفع، وركعة واحدة صلاة الوتر).

النّافلة، مأخوذة من كلمة (نفل)، أي الزّيادة والإضافة على الحد الواجب، جـاء في الحديث الشريف: «*إنّ صلاة اللّيل في آخره أفضل منهـا قبل ذلك، وهو وقت الإجـابة، وهي هـديّة المؤمن إلى ربّه*»[1].

١) مستدرك الوسائل: ج٦ ص ٣٢٨

إن الصلـوات المُستحبــة بمنـزلــة جُبران لما في الصلـوات الـواجبة من نقص، مثلُهـا في ذلك كمثل الصّـدقـة، وخاصـة صـلاة اللّيل، التي هي من أسرار الحبّ والعـلاقـة التي يكنّهـا العبـدُ لربّـه، وهو ينهض من نـومـه وقت السّحَر، تـاركاً لـذة النـوم، ليتّجه إلى الله تعـالى، يدعـوه ويرجـوه، وهذا هـو طبع وحال أولياء الله، الذين تراهم يُحيون اللّيل بالعبادة والطاعات المستحبة، عيونهم باكية، وقلوبهم خاشعة. وفي هذا تعبير عملي عن الشـوق والحب، يقــول الله تعـالى: (كـذَب مـن زعم أنـه يحُبّني، فإذا جنّـه اللّيل نــام عنّي، أليس كلّ محُبّ يحُبّ خلـوة حبيبه)[1].

وبـواسطة النـوافل يـرقى الإنسان إلى مستـويـات معنويـة رفيعة، بحيث لا يرى إلاّ الحق، ولا يسمع إلاّ الحق، ولا يدعو دُعاءً إلاّ أُستجيب له[2].

وهنـاكَ في كتـب الأحـاديث الشريفـة روايــات كثيرة عن النوافل وفضيلتها لا يتسع المجال هنا لايرادها.

---

١) مصباح الشريعة : ٢
٢) ثواب الاعمال : ٨٨

صلاة الجماعة:

صلاة الجماعة عبادة توحيدية جماعية رائعة، تُعبرّ عن هيبة المُسلمين المُوحّدين. وفيها من الأجر ـ إذا بلغ عدد الحاضرين فيها أكثر من عشرة نفرات ـ ما لا يُعدّ ولا يُحصى، كما جاء في الحديث الشريف. فهذه الصلاة تحمل مضامين وأهداف دينية كثيرة، لأنها تذويب وصهر للفرد في بوتقة الجمع، حيث الروح الجماعية بدلاً من الروح الأنانية، وهي مظلّة يجتمع تحتها الناس، فيعرف بعضهم بعضاً، ويطّلع بعضهم على أحوال ومشاكل البعض، فتكون بذلك مقدمة لبناء مجتمع إسلامي أخوي مُوحّد منظم خال من الأحقاد والأضغان وسوء الظن. وهو اجتماع بشري ذوٍ معطيات كثيرة ونفقات قليلة. ولأهميتها نرى وجود استحباب في أن يؤخر الإنسان صلاته بانتظار صلاة الجماعة، لأنها وإن تأخرت ففضلها وثوابها أكثر من الصلاة فُرادى وإن كانت أول الوقت.

أمّا إمام الجماعة، فيجب أن يكون إنساناً عادلاً تقياً لائقاً وهي معايير إسلامية مُهمّة في حياة الأمة، وفي حياة الفرد. وعن أهمية صلاة الجماعة نقرأ هاتين الروايتين: «*لا يزال*

أحدُكم في صلاة ما دام في مُصلاّه ينتظر الصلاة»[1].

« وأما الجماعة، فإن صفوف أمتي كصفوف الملائكة في السماء الرّابعة ، والركعة في الجماعة أربع وعشرون ركعة، كل ركعة أحبّ إلى الله من عبادة أربعين سنة»[2].

(إنّ جبرئيل (ع) هبط على النبي (ص) وقال: يا محمد، من أحبّ الجماعة، أحبّه الله، والملائكة أجمعون)[3].

عدالة إمام الجماعة

من شروط إمام الجماعة، أنه أفضل الموجودين، ممّنْ يُطمئن لدينهم والتزامهم، وتقواهم وعدالتهم، لأن صلاَة الجماعة مجمع إسلامي، يقوده إمام، والقائد يجب أن يكون أجدرُ من المقود والتّابع.

جاء في الحديث : «فقدّموا أفضلكم» [4] وفي حديث عن الامام الصادق (ع): «ليؤُذنّ لكم أفصحكم، وليؤمّكم أفقهكم»[5].

---

١) كنز العمال : ج٨ حديث ١٢٢٨١٨
٢) مستدرك الوسائل : ج١ ص ٤٨٨
٣) مستدرك الوسائل : ج٦ ص ٤٤٥
٤) من لا يحضره الفقية : ج١ ص ٣٧٧
٥) مستدرك الوسائل : ص٦ ص ٤٧٢

وإذ تكون العـدالة والتقـوى من مُـواصفات إمـام الجماعة، يكون دور هذه الصلاة وأثرها في تقـوية روح العدالة والتقوى عنـد المُصلّين، أمراً واضحـاً جَلياً، مثلما يتـوضّح كذلك أهميـة معيار التقوى والعدالة في تنصيب المُدراء والمسؤولين.

إن مفهـوم العدالـة من المفـاهيم الاسـلامية الـرفيعـة التي حظيت باهتمام الكتّاب والمفكرين، حيث قيل فيها وكُتبَ عنها الشيء الكثير، من ذلك ما قاله الإمام الخميني (رحمة الله عليه) في تحرير الوسيلة : (العدالة هي حالة قلبية في الانسان، ومَلَكة بـاطنيـة، تمنعـه من ارتكـاب الـذنـوب الكبيرة، أو من تكـرار الذنوب الصغيرة، والاصرار عليها).

وسئل الامـام الصادق (ع) عن صفـة العدل من الـرّجل، فقال: «*إذا غضّ طرفـه عن المحارم، ولسانـه عن المآثم، وكفّه عن المظالم*»[1].

وعن الـرسـول الأكـرم (ص) : «*من عـامـل النّـاس فلم يظلمهم، وحدثهـم فلم يكذبهم، ووعدهـم فلـم يخلفهم، فهو ممّن كمُلت مُروّته، وظهرت عدالته*»[2].

---

١) بحار الانوار : ج ٧٨ ص٢٤٨
٢) ميزان الحكمة : ج٧: ٣٣٩

هذا المقدار يكفي لبيان أهمية صلاة الجماعة، وعدالة الإمام.

فيا إخوتنا، هلُمّوا إلى صلاة الجماعة، وإلى المساجد، فهي خندق حصين، نكون فيه صفّاً مُتراصاً وقلباً واحداً لمقاتلة العدو الذي يتربصّ بالمسلمين الدّوائر، ولا يفوتنا ما في هذه العبادات من ثواب وبركات.

اللّهم إنّا نُقسمُ عليك بحقّك، أن ترزقنا الثبات في العبادة والطاعة، وأن تُنوّر قلوبنا بحبكّ، والشوق لعبادتك، اللّهم إجعل أعمارنا، وأفكارنا، وطاقاتنا وقوانا البدنية والروحيّة خالصة في طِاعتك، ربّنا اجعلنا مقيمي الصلاة، إنك سميع مجُيبَ.

نسألك الدعـــــاء

فهرس الموضوعات

الطبعة الاولى
١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م